تراث الإنسانية

الخطط التوفيقية

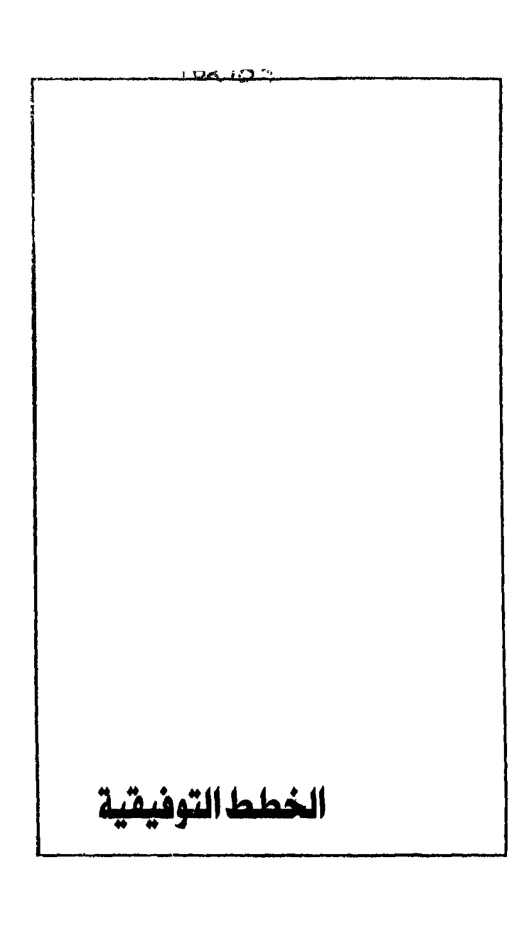
لعلى مبارك

د. عبدالعزيز الشناوى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥



الخطط التوفيقية

الخطط التوفيقية

لعلى مبارك

د. عبدالعزيز الشناوى



مهرجان القراءة للجميع ٩٥

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الخطط التوفيقية
لعلى مبارك
د . عبد العزيز الشناوى

مكانته فى تاريخ مصر القومى :

يتمتع على مبارك بصدارة واضحة بين رواد النهضة العلمية فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر • كان على حظ موفور من العلم وجمع بين الثقافتين العربية والفرنسية ، ففتح العلم أمامه باب الأمل واسعا لا حد لسعته ، وباب الرقى طويلا لا حد لطوله ، وتقلد العديد من المناصب الوزارية ، وهو الذى كان فى مرتع صباه يبيت من الجوع طاويا ، وانطلق يشارك فى توجيه الحياة العقلية للمصريين ويسهم فى تنظيم الجهاز الحكومى وسرعان ما برز بروزا واضحا قويا فى ميادين العلم والتعليم والتربية والتأليف ، وغدا يمثل طرازا فريدا لجهد الوزير العالم ودأب الباحث المحقق •

نشاته الأولى : طفولة مشردة :

ولد على مبارك فى قرية برنبال الجديدة (١) من أعمـــال مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ ـ ١٨٢٤ م) من أسرة ريفية رقيقة الحال مثقلة بوفرة الانجاب على العادة الشائعة فى المجتمع المصرى وقتذاك ، اذ كان له سبع بنات شقيقات واخوة ذكور من غير أمه • وعلى مبارك وهو يترجم لنفسه يسوق تسلسل آبائه على هذا النحو : مبارك ابن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروجى • وظفر جده الأعلى الشيخ ابراهيم الروجى بمكانة سامية فى البلدة فكان امامها وخطيبها وقاضيها • وتوارث أبناؤه وحفدته هذه الوظائف فعرفت أسرته بعائلة المشـايخ ، وأضيفت الى وظائفها توثيق عقود الزواج والرقابة على الموازين والمكاييل •

وكانت حكومة محمد على ترهق الفلاحين من أمرهم عسرا بما تفرضه عليهم من نظام ضريبى جائر • وحدث أن أقطعت الحكومة أسرة المشايخ قسرا عنها قدرا من الأطيان لزراعتها ، وكانت هذه الأطيـــان مثقلة بضرائب متأخرة وطلبت منها سدادها مع الضرائب الجديدة ، واستخدمت مع أفراد الأسرة الضرب والسجن وغير ذلك من وسائل

(١) توجد فى الوجه البحرى ثلاث قرى تحمل هذا الاسم : احداها فى مركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ وتقع على الشاطىء الشرقى لفرع رشيد شمال مطوبس • وبرنبال القديمة وتسمى ايضا برنبـال البحرية وتقع على البحر الصغير بمحافظة الدقهلية • وبرنبال الجديدة مسقط رأس على مبارك •

التعذيب « كأسوة الفلاحين فضاق خناقهم من ذلك لعدم اعتيادهم الاهانة ، وبعد بذلهم ما بأيديهم وبيعهم المواشى وأثاثات البيوت ، رأوا أن لا ملجأ لهم من ذلك الا الفرار »(٢) فارتحل أفراد أسرة المشايخ عن قريتهم وتفرقوا فى البلاد • ونزل الشيخ مبارك بن مبارك والد على مبارك فى قرية الحماد من أعمال محافظة الشرقية • وكان على مبارك قد بلغ من العمر وقتذاك ست سنوات • ولم يطب المقـــام للشيخ مبارك اذ لمس أن شعور أهل الحماد نحو الأسرة النازحة شعور غير طيب فارتحل عنها الى عرب السماعنة وهم من عرب الخيش بمحافظة الشرقية • وعرف عن هؤلاء العرب أنهم يجلون رجال الدين ، وكان الشيخ مبارك رجلا صالحا على ثقافة دينية فظفر بتقديرهم وأصبح مرجعهم فى المسائل الدينية ، وشيدوا مسجدا وعينوه اماما وطابت له الاقامة فى هذا المرتحل الجديد وانصرف يدبر شـــئون أسرته •

وكان على مبارك قبل رحيله من قرية برنبال الجديدة بدأ يتعلم على رجل كفيف من أهلها ، فلما استقر بأسرته المقام بين عرب السماعنة أسلمه والده الى فقيه يدعى الشيخ أحمد أبو خضر ، وعلى يديه استظهر القرآن حفظا ، ولكنه ما لبث أن نفر من هذا الفقيه ، اذ كان فظا غليظ القلب أسرف فى ضربه وايذائه • وأراد أبوه أن يجبره على الرجوع

---

(٢) ترجمة حياة على مبارك بقلمه • الخطط التوفيقية ج ٩ • ص ص ٣٧ـ٦١ •

الى الفقيه ، لكنه أصر على الرفض وعول على الهرب ، وتدخل اخوته فى الأمر وصرح لهم بأنه لا يريد أن يكون فقيها وأنه يفضل أن يكون كاتبا نظرا لما لمسه من مزايا يتمتع بها الكاتب « من حسن الهيئة والهيبة والقرب من الحكام » ونزل الوالد على رغبة الابن ، فعهد الى صديق له يعمل كاتبا بتعليمه الكتابة • ولكن ما لبث الصبى أن رأى من الكاتب غلظة فاقت قسوة الفقيه ، اذ ضربه يوما بمقلاة بن شجت رأسه لأنه أخطأ فى الاجابة على سؤال فى جدول الضرب • فآثر مبارك الهرب على احتمال القهر والضرب والهوان ، وكأنه كان يتطلع الى أسلوب فى التعليم أرقى من الأسلوب العتيق •

حار الوالد فى تعليم الابن ، فأحاله الى صديق آخر فى كتبة المساحين كى يقوم على تعليمه ، فلازمه ثلاثة أشهر ثم طرده ، لأنه كان يفشى أسرار الرشا التى كان يتناولها من الأهلين ، وبقى فى بيت أبيه يقرأ عليه ، ثم وفق الوالد فى أن يجد لابنه وظيفة كتابية هى مساعد كاتب فى مأمورية أبى كبير بمرتب شهرى قدره خمسون قرشا • وماطل الكاتب فى دفع مرتبه الى أن تسلم على مبارك يوما ما حصيلة الضرائب من احدى قرى مركز أبى كبير ، فاستقطع منها مرتباته المتأخرة عن ثلاثة أشهر وترك له ايصالا بتسلم هذا المبلغ ووضع الايصال فى كيس النقدية • فنقم منه الكاتب هذا التصرف وأغرى به مأمور المركز واتفق معه على تجنيده واعتقله ، وظل فى السجن بضعة وعشرين يوما وهو مقيد

بالحديد . وبذل الشيخ مبارك مساعيه وساعدته الظروف اذ كان محمد على يزور منيا القمح بمحافظة الشرقية ، فرفع اليه ظلامة ، وأمر محمد على باخلاء سبيل الابن ، وعاد الوالد بالأمر الى المأمور يطلب تنفيذه . وخرج على مبارك من السجن ليعين كاتبا عند مأمور زراعة القطن بناحية أبى كبير وكان يسمى عنبر أفندى وجعل مرتبه خمسة وسبعين قرشا فى الشهر وجراية من الخبز تقدم له كل يوم . ولقى على مبارك معاملة طيبة من عنبر أفندى .

هل يقف السادة أمام العبيد ؟ حوار مثير بين الابن وأبيه

لاحظ على مبارك أن عنبر أفندى رجل حبشى أسود اللون وكأنه عبد مملوك . وزاد من دهشته أن رأى علية القوم من أصحاب الثراء والحكام ومشايخ البلاد وقوفا بين يديه وهو يلقى عليهم بالأوامر « وكنت لم أر مثل ذلك قبل ، ولم أسمع به ، بل أعتقد أن الحكام لا يكونون الا من الأتراك على حسب ما جرت به العادة فى تلك الأزمان . وبقيت متعجبا متحيرا فى السبب الذى جعل السادة يقفون أمام العبيد ، ويقبلون أيديهم ، وحرصت كل الحرص على الوقوف على هذا السبب » .

وفى اليوم التالى حضر الشيخ مبارك لزيارة ابنه ، فقدمه الى المأمور الذى بالغ فى اكرام وفادته حتى خرج من عنده ولسانه يلهج بالثناء عليه . ودار فى مساء نفس اليوم حوار مثير وطريف بين الوالد وابنه حول عنبر أفندى والأسباب التى قفزت به الى شغل هذا المنصب الكبير .

ولندع على مبارك يقص هذا الحوار « ولما سهرت مع والدى ليلا جعلت كلامى معه فى هذا المأمور ، فقلت له هذا المأمور ليس من الأتراك لأنه أسود ، فأجابنى بأنه يمكن أن يكون عبدا عتيقا • فقلت هل يكون العبد حاكما مع أن أكابر البلاد لا يكونون حكاما فضلا عن العبيد ؟ فجعل هو يجيبنى بأجوبة لا تقنعنى ، فكان يقول لعل سبب ذلك مكارم أخلاقه ومعرفته ، فأقول : وما معرفته ؟ فيقول : لعله جاور بالأزهر وتعلم فيه • فأقول : وهل التعلم فى الأزهر يؤدى الى أن يكون الانسان حاكما ؟ ومن خرج من الأزهر حاكما ؟ فقال : يا ولدى كلنا عبيد الله ، والله تعالى يرفع من يشـــاء • فأقول • مسلم لكن الأسباب لابد منها ، وجعل يعظنى ويذكر لى حكايات وأشـعارا لم أقنع بها ، ثم أوصانى بملازمته وامتثال أوامره ، وبعد يومين سافر عنى وتركنى عنده » •

أخذ على مبارك بوسائله الخاصة يتقصى الأخبار عن نشأة المأمور واتصل بأحد الخدم المقربين للمأمور وعلم منه أنه كان عبد اشترته احدى سيدات المجتمع فى مصر بثمن بخس دراهم معدودة • ولما أنشأ محمد على المدارس الحديثة استطاعت هذه السيدة بما لها من نفوذ فى مجتمع تركى استقراطى أن تلحقه بمدرسة القصر العينى الثانوية • وأبلغه الفراش أن خريجى هذه المدرسة يعينون حكاما • فجاشت فى نفسه رغبة جامحة فى أن يلتحق بهذه المدرسة ، ولما سأله عما اذا كان يدخلها أحد من الفلاحين ، أجابه أن التحاق الفلاح بها أمر ممكن ان كانت لديه « واسطة » فقلق

من هذا القيد ولكن لم تفتر عزيمته وأخذ يجمع مزيدا من المعلومات عن المدرسة ، فعلم أن تلاميذها يتعلمون بالمجان وتقوم الحكومة باطعامهم وايوائهم وكسائهم ، وازداد اصرارا على الالتحاق بالمدرسة وأخذ يسأل عن مكانها فى القاهرة وطريقة السفر الى العاصمة ومقدار المسافة التى عليه أن يقطعها وأسماء البلدان التى يمر بها وصحت عزيمته على ترك عمله وطلب الاذن فى زيارة أسرته فمنحه عبر أفندى اجازة خمســـة عشر يوما ، واتخذ طريقه الى القاهرة سربا •

نقف هنا وقفة قصيرة لنقرر أن عاملين رئيسيين لعبا دورا كبيرا فى رسم مستقبل حياته ، هما : الآمال الكبار التى داعبت فؤاده وهو لا يزال شابا يافعا فأبى أن يقنع بعمل صغير فى معاونة موظف حكومى ومن ثم صمم على المضى فى تحصيل العلم مهما لقى من مشاق وأهوال • أما العامل الثانى فكان حرصه على كرامته اذ ظل حادث سجنه عالقا فى ذهنه ، وكان يساءل نفسه عما يحدث لو نهج عنبر أفندى المأمور نهج الكاتب وألقى به فى غياهب الســجن « واستمرت الفكرتان فى بالى ، وكانت همتى فى التخلص من كل ذلك ومن أمثاله ، وأود أن أكون بحالة لا ذل فيها ولا تخشى غوائلها » وهذا القول دليل على أنه كان على حظ موفور من عزة النفس والطموح واباء الضميم •

التحاقه بالمدارس الحديثة :

وبينما كان على مبارك يقطع الطريق الى القاهرة سيرا على قدميه التقى بصبية مع كل واحد منهم دواة وأقلام •

وعلم منهم أنهم تلاميذ مكتب منية العز ، وأن نجباء تلاميذ المدارس الابتدائية ـ مكاتب المبتديان بمصطلح ذلك العصر ـ ينقلون الى المدارس التجهيزية ـ أى الثانوية ـ دون واسطة « فرأيت ذلك غاية مرغوبى ، فلم أتأخر عن الذهاب معهم ودخلت المكتب » وتفوق فى دراسته واختير سنة ١٨٣٦ للالتحاق بمدرسة قصر العينى التجهيزية (٣) وفى سنة ١٨٤٠ وقع عليه الاختيار لدخول مدرســـة المهندسخانة واستمر محافظا على تفوقه العلمى ٠ وفى سنة ١٨٤٤ أوفد فى بعثة علمية الى فرنسا أطلق عليها بعثة الأمراء أو بعثة الأنجال لأنها كانت تضم بعض أبناء محمد على وحفدته ٠ وبعد أن أتم سنتين فى باريس عين ضـــابطا فى الجيش الفرنسى برتبة ملازم ثان فى مدرسة المدفعية والهندسة الحربية بمدينة متز Metz وقضى فيها سنتين أخريين تعلم فيهما فن الاستحكامات وجـــاز امتحانها بنجاح وعين فى الفرقة الثالثة من ســـلاح المهندسين بالجيش الفرنسى ٠ ولما تولى عباس الأول حكم مصر أمر باستدعاء معظم أعضاء البعثات فعادوا الى مصر وكان من بينهم على مبارك ٠

وفى حكم عباس الأول تقلد على مبارك عدة مناصب حكومية وظفر بتقدير هذا الوالى الذى عهد اليه بوضع مشروع جديد للنظام التعليمى فى مصر وأخذ به عباس وأصـــدر قرارا بالموافقة على لائحة على مبارك التعليمية

---

(٣) نقلت هذه المدرسة بعد سنة الى أبى زعبل لتحل محلها فى قصر العينى مدرسة الطب البشرى ٠

(١٧ رجب ١٢٦٦ ـ ٢٩ مايو ١٨٥٠) ورقاه الى رتبة عميد وعينه ناظرا لمدرســـة المهندسخانة وملحقاتها وظل يشغل هذا المنصب حتى نهاية حكم عباس • يقول مؤرخ التعليم فى مصر الحديثة انه « قد أتيح لمدرسة المهندسخانة ادارة حازمة مستنيرة فى شخص ناظرها على مبارك • وكانت الفترة التى قضاها ناظرا لها من ١٨٥٠ الى ١٨٥٤ من أحفل الفترات فى تاريخ حياته • والواقع أنها أعدت على مبارك وهيأته للدور الخطير الذى سيقوم به فى ادارة التعليم وتوجيهـــه بعد ذلك فى عصر اســـماعيل وبعد عصر اسماعيل (٤) » •

ولما تولى محمد سعيد حكم مصر عزله من منصبه والحقه باحدى فرق الجيش المصرى وكانت مسافرة للاشتراك فى حرب القرم • وقد لبث فى هذه المهمة سنتين ونصف سنة تعلم خلالها اللغة التركية واتسعت مداركه وزادت معلوماته • ولما عاد الى مصر حفت به المتاعب من يمين وشمال وعاش عيشة ضنكا يشغل وظائف تافهة حينا ، ويفصل منها أحيانا ، وتسوء حالته النفسية ، ويفكر فى العودة الى قريته ليشتغل فلاحا ، ويفكر حينا آخر فى مزاولة التجارة • وبينما هو يجهد الفكر فى ايجاد عمل يرتزق منه جاء الموت سعيد باشا فى مطلع سنة ١٨٦٣ وتولى اسماعيل حكم مصر • وعندئذ بدأت حياة على مبارك

---

(٤) د• احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر • عصر عباس الأول وسعيد • القاهرة ١٩٤٥ ص ١٠٦ •

تأخذ اتجاها آخر ، وغدا العالم المغمور المتعطل نجما يسطع في سماء البلاد وأصاب في الحياة العامة النجاح والجاه زالمال والمركز السامي .

كان على مبارك زميلا للوالي الجديد في بعثة الأمراء الى فرنسا ولذلك كان اسماعيل به حفيا . فعينه ناظرا لمدرسة المبتديان فمهندسا للقناطر الخيرية وأظهر براعة في توزيع الماء بين فرعي رشيد ودمياط ، وأشرف على عمليات تعميق رياح المنوفية واقامة قناطره ومبانيه ، وعين كبيرا لمهندسى المعية السنية . وحدث أن ناقش مجلس شورى النواب في نوفمبر ١٨٦٦ السياسة التعليمية وانتهت مناقشاته الى عدة قرارات هامة كان من بينها انشاء مدرسة ابتدائية في كل مديرية وتنظيم المكاتب الأهلية تحت اشراف الحكومة واباحة الالتحاق بها للجميع « من عموم الناس بالرغبة بدون استثناء مسلم أو قبطى ، غنى أو فقير » . ويتلقى جميع التلاميذ دروسهم معا ما عدا دروس الدين ، فيفرد محل خاص للأقباط وينتدب غبطة البطريرك أحد القسس لتعليمهم الديانة المسيحية « حيث جميعهم أولاد الوطن » . ولم تكن هذه القرارات سوى مبادىء عامة تحتاج الى اعداد فنى واسع . وهنا تقدم على مبارك ، وكان يشعر بميل فطرى نحو التعليم ، للعمل في الحقل التعليمى . فقدم لاسماعيل مذكرة تضمنت آراءه ومعها مشروع لائحة لتنظيم واصلاح المكاتب الأهلية . وعرفت هذه اللائحة باسم لائحة ١٠ رجب ١٢٨٤ (٧ نوفمبر

١٨٦٨) وهى تؤرخ المحاولة الحقيقية الأولى لنظام قومى للتعليم فى مصر وأوضح الطريق لمن جاء بعده من دعاة الاصلاح ٠ وقبل أن تتم الموافقة على هذه اللائحة عين وكيلا لديوان المدارس فى سبتمبر ١٨٦٧ ثم مديرا له وناظرا للأشغال وناظرا للأوقاف ٠ وجمع كل هذه الوزارات فى سراى درب الجماميز ليسهل اشرافه عليها ثم أضيفت اليه مصلحة السكك الحديدية ٠ وقد وزع وقته بين هذه الوزارات طوال النهار وزلفا من الليل ٠

وقد أرسى مبادىء هامة فى ميدان التربية والتعليم لاتزال معمولا بها الى اليوم ٠ وليس هذا المقال مجال التعرض لها ٠ وقد أنشأ مدرسة دار العلوم لتخريج مدرسى اللغة العربية ، ومن المدارس الأخرى التى أقامها : الألسن والادارة والمحاسبة ، كما أنشأ دار الكتب المصرية وأسس أول مجلة ثقافية فى مصر الحديثة هى مجلة روضة المدارس٠ ولئن كانت شهرته ترتكز على أمرين : خدماته فى التربية والتعليم ، وتأليف الخطط التوفيقية ، الا أنه له مآثر أخرى تتصل بمنشآت الرى وتوسيع الشبكة الحديدية فى مصر وتنظيم القاهرة والمدن الأخرى وغير ذلك من الأعمال الهندسية والعمرانية ٠

وحدث أن فترت العلاقات بينه وبين الخديو اسماعيل بسبب دس الحاسدين له ، فانفصل عن مناصبه واعتكف فى منزله سنتى ١٨٧٠ ــ ١٨٧١ ثم أعيد الى ديوان المدارس ونظارة الأوقاف والأشغال ٠ ولما ألف نوبار باشا وزارته الأولى فى أغسطس ١٨٧٨ دخلها على مبارك وزيرا للمعارف

والأوقاف • ولما سقطت هذه الوزارة فى فبراير ١٨٧٩ خلفتها وزارة الأمير توفيق فى ٢٢ مارس وتقلد على مبارك فيها نفس الوزارتين • ولم تعمر هذه الوزارة طويلا وأعقبتها فى ٨ من أبريل ١٨٧٩ وزارة شريف باشا ولكنه لم يدخلها وظل وزيرا متقاعدا حتى نهاية حكم اسماعيل •

ولما تولى توفيق الحكم ظل على مبارك بعيدا عن المناصب الحكومية معتكفا فى داره • الى أن ألف مصطفى رياض باشا وزارته فى سبتمبر ١٨٧٩ فدخلها على مبارك وزيرا للأشغال • وفى عهد هذه الوزارة ظهرت مقدمات الثورة العرابية ولم يكن على مبارك من أنصارها ، بل كان يميل الى الاعتدال وأخذ الأمور بالحكمة والهوادة • وقد سقطت الوزارة فى سبتمبر ١٨٨١ نزولا على ارادة الثوار • وتعاقبت أحداث الثورة سراعا وانتهت بالاخفاق ووقوع البلاد فريسة للاحتلال البريطانى • ولما ألف شريف باشا وزارته الرابعة سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال دخلها على مبارك وزيرا للأشغال وظلت هذه الوزارة فى الحكم الى أن استقالت فى يناير ١٨٨٤ احتجاجا على أمر الحكومة البريطانية لها باخلاء السودان وكان لعلى مبارك نصيب فى الموقف المشرف الذى وقفته هذه الوزارة ، ووجد الانجليز فى نوبار باشا أداة طيعة لينة فقبل تأليف الوزارة على قاعدة اخلاء السودان • ولم يدخل على مبارك هذه الوزارة بطبيعة الحال • وظل نوبار فى الحكم الى أن استنفد الانجليز أغراضهم منه ومن وزارته ، فأقيلت الوزارة فى ٧ يونيو

١٨٨٨ ، وعهد توفيق الى رياض باشا تأليف وزارة جديدة ودخلها على مبارك وزيرا للمعارف • وقد بقيت هذه الوزارة فى الحكم من ١١ يونيو ١٨٨٨ حتى ١٢ مايو ١٨٩١ وكان هذا التاريخ هو آخر عهد على مبارك بالمناصب الحكومية اذ آوى الى داره ، وأخذ ينتقل بين القاهرة وقريته حيث أصيب بداء المثانة فعاد الى القاهرة واشتدت عليه وطأة المرض الى أن جاز الى ربه فى داره بالحلمية الجديدة فى ١٤ نوفمبر ١٨٩٣ • وهو من الشخصيات المصرية القليلة التى عاصرت حـــكم محمد على وابراهيم وعباس وسعيد واسماعيل وتوفيق وعباس حلمى • وكانت حياته خصبة حافلة بجلائل الخدمات والأعمال تجعل من صاحبها طرازا فريدا بين الرجال •

مؤلفات على مبـــارك :

كان لعلى مبارك فلسفته فى الحياة ، فهو يرى أن أول واجب يؤدى الى الشعب هو تعليم أبنائه ونشر التعليم بينهم وزيادة عدد المدارس حتى يصبح نابتة البلاد عناصر صالحة منتجة فى المجتمع • ويمشى مع هذا الواجب جنبا الى جنب واجب آخر هو وضع الكتب المفيدة • فتأليف هذا النوع من الكتب هدف سعى اليه على مبارك بنفسه ودعا اليه القادرين على التأليف العلمى نهوضا بالوطن وتوفية لما له من حقوق عليهم • ويقول فى أداء هذين الواجبين « ولهذا التزمت فى كل ما تقلدت من الأعمال ، وجميع ما تقلبت فيه من الأحوال ، أن أخدم وطنى بكل ما نالته

يدى وبلغه امكانى مما أراه يعود عليه بالفائدة والنفع قل أوجل ، كالسعى فى استكثار المكاتب والمدارس ، وتعميم التربية والتعليم ، ونشر الكتب المفيدة ، اما بالاشتغال فى تاليفها بنفسى ، أو الحث والتحريض عليها لمن أرى فيه أهلية القيام بها » ٠

وتمشيا مع ما أخذ به نفسه تميز على مبارك بالانتاج العلمى والأدبى الوفير ٠ ففضلا عن كتاب الخطط التوفيقية له مؤلفات أخرى منها ٠

١ ــ حقائق الأخبار فى أوصاف البحار ٠ وقد نشر أول الأمر فى حلقات متتابعة فى مجلة روضة المدارس ثم طبع مكتمــــلا فى مطبعة وادى النيل ســـنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠) م ٠

٢ ــ تنوير الأفهام فى تغذى الأجسام ٠ طبع سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢) م ٠

٣ ــ نخبة النيل فى تدبير نيل مصر ٠ وقد طبع فى مطبعة وادى النيل سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) وقد أفرغ فى هذا الكتاب ثقافته الهندسية فى شئون الرى ومشروعاته فى مصر ٠

٤ ــ علم الدين ٠ وهو قصة خيالية فى أربعة أجزاء تقع أحداثها فى مصر وأوربا ، ويدور الحديث فيها بين أحد العلماء المصريين من خريجى الأزهر وقد أطلق عليه اسم علم الدين ، وبين عالم انجليزى وفـــد إلى مصر وتعلم اللغة العربية ٠ ويبدأ الحديث فى مصر ويتخذ العالم الانجليزى

موقف التلميذ من الشيخ المصرى يستوضحه مظاهر الحياة المصرية التى يراها وتاريخ البلاد • ثم يرحل الرجلان الى أوربا فينقلب الموقف تماما ، واذا بالعالم المصرى يتخذ موقف التلميذ ويسأل رفيقه الانجليزى عن كل ما يراه فى المجتمع الأوربى • واستهدف على مبارك من وضع هذه القصة عقد مقارنة بين مظاهر الحياة والحضارة فى الشرق والغرب لتنبيه أذهان أهل الشرق الى مزايا الحضــــارة الأوربية الحديثة • والكتاب يزخر بمادة علمية وتاريخية واجتماعية غزيرة ومفيدة وطريفة وتضمن بحوثا فى الموالد والأعياد والمواسم والمسارح ويسميها « التياترات » وتعدد الزوجات ومضار تعاطى الحشيش • وقد طبع الكتاب فى مطبعة المحروســـــة فى الاســـــكندرية سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢) م •

٥ ـ الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان ويحتوى على دراسة مقارنة فى تاريخ الأقيسة وغيرها فى مصر القديمة وفى مصر الاســــلامية • وقد طبع فى القاهرة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١) م •

٦ ـ خلاصـــــة تاريخ العـــرب وهو كتاب عربه من الفرنسية لمؤلفه سيديو • وطبع فى القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ ـ ١٨٩٢) م •

٧ ـ تذكرة المهندســـين •

٨ ـ تقريب الهندســـــة •

٩ ـ طريق الهجاء والتمرين وهو فى جزءين :

١٠ ــ المزاحمة وتاثيرها فى الارتقاء البشرى ٠

١١ ــ ومن الكتب التى أشير اليها ولم تطبع الى اليوم كتاب ضخم وضعه بالاشتراك مع صالح مجدى تناول فيه المؤلفان تاريخ مصر فى مختلف العصور ابتداء من العصر الفرعونى ثم حكم الفرس وعصرى البطالمة والرومان ثم العصر الاسلامى ووصلا فيه الى سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٨) م أى الى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى تقريبا وقد ذكر محمد مجدى وهو يترجم لوالده صالح مجدى (٥) أن المؤلفين جمعا المادة العلمية لهذا الكتاب فى نيف وأربعمائة كراسة وأنها لدى على مبارك وأنه يغلب على ظنه أنها مهيأة للطبع ، ولكن هذا الكتاب للأسف مفقود لا نعرف عنه شيئا ٠

١٢ ــ آثار الاسلام فى المدنية والعمران ٠ ويقول الدكتور محمد درى باشا فى ترجمته لعلى مبارك باشا ان هذا الكتاب كان آخر ما ألفه على مبارك ، وقد تناول فيه ما أدخله الاسلام من العمران فى البلاد التى انتشر فيها ، وأنه لما انتهى من وضعه وتبييضه أعطاه لأحد علماء الأزهر لمراجعته ، وأن هذا الكتـــــاب محفوظ فى خزانة على مبـــــارك ٠

الخطط التوفيقية : ملامحها العامة :

وأما كتاب « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة » فيمثل قمة انتاجه العلمى

(٥) صالح مجدى هو علم من اعلام مدرسة الألسن أظهر نبوغا فى دراسة اللغة الفرنسية وتعاون مع على مبارك فى الانتـاج العلمى ٠

وأوج نضوجه العقلى • ويقع فى عشرين جزءا ، وهو موسوعة عربية كبرى أو دائرة معارف عربية خاصة بمصر • وقد سار على مبارك فى وضع هذه الموسوعة على نهج المقريزى فى خططه • وقد اشتهرت مصر الاسلامية بفن تأليف كتب الخطط • فهذا الفن ، كما يقول الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال ، فن مصرى أصيل نشأ فى مصر الاسلامية ، وفيها دون غيرها من الأمصار الاسلامية نما وترعرع • وكان الكندى أول من ألف فيه ، ولم يكن يمضى قرن بعد ذلك حتى يظهر فيه مؤلف أو أكثر يكتبون فى خطط مصر ، وكان آخرهم تقى الدين المقريزى (٦) واتخذ على مبارك بصورة عامة خطط المقريزى أساسا لخططه التوفيقية ، فتتبع مدن مصر وقراها ، ووصف طبوغرافيتها ، فكان يتحدث عن موقع المدينة أو القرية أولا ، ثم يؤرخ لها من أقدم العصور الى الوقت الذى اندثرت فيه أو حتى القرن التاسع عشر اذا كانت لاتزال قائمة ، ويصف ما بها من منشآت ومرافق عامة مثل المسـاجد والزوايا والأضرحة والكنائس والأديرة والمدارس والكتاتيب والوكائل والحمامات والمستشفيات والمصانع والقصور والدور ويثبت ما أصابها من تغير • ويقرن هذا الوصف الطبوغرافى المسهب بترجمة لمن برز فى كل بلدة ممن ولدوا بها أو عاشوا فيها أو دفنوا فى ثراها • وقد أفرد على مبارك الأجزاء الستة الأولى لمدينة القاهرة ، وخص مدينة الاسكندرية بالجزء السابع ثم أرخ

---

(٦) دكتور جمال الدين الشيال : التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر • الطبعة الاولى ١٩٥٨ صص ١٠٥ ، ١٠٦ •

لباقى المدن المصرية فى عشرة أجزاء تبدأ من الجزء الثامن الى الجزء السابع عشر • وأفرد الجزء الثامن عشر لقياس النيل منذ عهد الفراعنة حتى القرن التاسع عشر والاحتفالات التى كانت تقام عند وفاء النيل فى مختلف العصور • وفى الجزء التاسع عشر تكلم عن ترع النيل ورياحاته ومنشآت الرى • أما الجزء العشرون فقد أرخ فيه للنقود المصرية فى العصر الاسلامى •

عرض سريع لمحتوى الخطط التوفيقية :

شرح على مبارك البواعث التى أملت عليه وضع هذه الموسوعة العربية ، فقال ان مدينة القاهرة قد تعرضت لكثير من أحداث الزمن منذ أن شيدت على عهد المعز لدين الله رابع خلفاء الدولة الفاطمية وأولهم فى مصر ، فحينا كانت القاهرة مدينة زاهرة عامرة ، وحينا كانت واهنة واهية • وقال ان المقريزى المؤرخ العربى الذائع الصيت قد شرح فى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وهو الكتاب المشهور باسم الخطط ، ما طرأ على القاهرة من تغيير فى معالمها من منشآت وميادين وشوارع وما اليها ، وأسدى بوضع هذا الكتاب خدمة جليلة للتاريخ • ولكن منذ أن جاز هذا المؤرخ الى ربه فى أوائل سنة ١٤٤٢ لم يحفل أحد بأن يترسم خطاه فيتابع تسجيل التطور التاريخى والعمرانى والدينى والاجتماعى للقاهرة وسائر المدن المصرية على الرغم من الحاجة الماسة الى القيام بمثل هذا العمل ، فقد وقعت منذ وفاة المقريزى أحداث عصفت

ببعض معالم كانت قائمة على عهده فاندثرت وكادت تصبح نسيا منسيا ، ونسبت منشآت لغير أصحابها ، كما نفذت مشروعات هامة وظهرت شخصيات قيادية تركت بصماتها في تاريخ البلاد • ثم يقول على مبارك في وطنية دافقة « ان معرفة ذلك حق علينا ، اذ لا يليق بنا جهل بلادنا ، والتهاون بمعرفة آثار أسـلافنا ، التى هى عبرة للمعتبر وذكرى للمذكر • فهم وان مضوا لسبيلهم ، قد تركوا لنا ما يحثنا على اقتفاء آثارهم ، وأن نصنع لوقتنا ما صنعوه لوقتهم ، وأن نجد فى طريق الافادة كما جدوا » • ومن ثم جاشت فى نفس على مبارك رغبة جامحة فى وضع مثل هذا المرجع العلمى ، وقد وصفه فى تواضع العلماء بأنه « كتاب واف بما لمصر من قديم وحديث متضمن لذكر مبانيها الدائرة والموجودة وما يتبع ذلك من أخبار أربابها وذكر نيلها ومنافعه وكيفية تصرفاته ومواضعه » بيد أنه استشعر من أول الأمر ضخامة المشروع وصعوبته لما يحتاجه من مجهود مضن ووقت فسيح لا يتسع له وقته بسبب أعباء المناصب الكبرى التى كان يتقلدها مجتمعة فى يده ، ومن ثم عرض على صفوة من علماء مصر القيام بهذا المشروع العلمى الجليل فلم تلق دعوته استجابة منهم وانتهى به التفكير الى أنه لا مناص من أن ينهض بمفرده بهذا العمل •

وقد استهل على مبـارك الجزء الأول من الخطط التوفيقية بوصف المكان الذى أقيمت عليه مدينة القاهرة كمقدمة لوصف هذه العـاصمة مدة الخلفاء الفاطميين ثم

انتقل الى كتابة تاريخ مصر عبر العصور التاريخية منذ تأسيس القاهرة حتى السنوات الأخيرة من حكم الخديو توفيق فوقف عند سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) أى بعد الاحتلال البريطانى لمصر بست سنوات تقريبا ، وهى فترة اجتمع فيها مجد الوطن وبؤسه والتقى أمله الطالع بشمسه الغاربة ، وشهدت البلاد قيام عدة دول وأسرات تعاقبت على حكمها : فأرخ للدولة الفاطمية ثم للأيوبيـة والمماليك البحرية والمماليك البرجية والحكم العثمانى لمصر والاحتلال الفرنسى وسنوات الاضطراب السياسى التى أعقبت خروج الفرنسيين ثم تولية أسرة محمد على حكم مصر حتى الثمانينات من القرن التاسع عشر - وعاد المؤلف بعد هذا السرد التاريخى الى مدينة القاهرة يعين حدودها وتقسيمها الادارى فى القرن التاسع عشر وعدد أقسام الشرطة والمرافق العامة بها من مستشفيات وصيدليات ومدارس حديثة ومرفق المياه وذكر عدد المساجد والزوايا والربط (٧) والخوانق (٨)

---

(٧) الربط ويطلق عليها أيضا الرباطات جمع رباط وهو مكان كان يعد لاقامة المتصوفة فيه وكان بعض الربط يخصص للسيدات المنقطعات أو المهجورات أو المطلقات أو العجائز الأرامل العابدات .

(٨) الخوانق ويطلق عليها أيضا الخانقاوات وهى كلمة فارسية معناها بيت العبادة ثم خصصت لاقامة المتصوفة . وكانت تحبس عليها الأوقاف السخية .

والتكايا (٩) والأسبلة (١٠) والمقاهى والحمامات العامة وموالد الأولياء وعدد سكان القاهرة حسب تعداد ١٨٨٢ وقد بلغ ٣٧٤٫٨٣٨ نسمة ثم أورد احصائية طريفة عن أصحاب الحرف فى القاهرة وقد بلغ عددها ٧٥ حرفة ٠٠ وكانت أكثر الحرف تعدادا هى حرفة الحمارة فقد بلغ عدد أفرادها ١٧٣٩ ، ويلاحظ أن وسيلة المواصلات الرئيسية لعامة الشعب فى القاهرة وقتذاك كانت الحمير. وكان يلى الحمارة – من حيث العدد – النجارون (الدقى) ثم عمال البناء ثم البقالون فالترزية ثم الصرماتية وهم المشتغلون بصنع الأحذية والبلغ وتصليحها ٠ وكان أقل رجال الحرف تعدادا هم الصدفجية أى المشتغلون بتطعيم الأخشاب بالصدف وصانعو المنشبات ٠

★★★

وفى الجزء الثانى تكلم المؤلف عن شوارع مدينة القاهرة وحاراتها وعطفها ودروبها وما يتبع ذلك من أسواقها ٠ وقد بدأ هذا الجزء بحى الحسينية ٠ وكان يتكلم عن كل شارع من حيث بدايته ومساره ونهايته والأزقة التى تتفرع منه وما بنى فيه من المساجد والزوايا والأضرحة والأسبلة والتكايا والمدارس والوكائل والكنائس

---

(٩) التكايا جمع تكية وهى مكان يقيم فيه الدراويش من الاعاجم ٠

(١٠) الأسبلة جمع سبيل مكان يستقى منه المارة بواسطة كوز من النحاس مربوط بسلسلة وكان تحت السبيل صهريج تخزن فيه المياه ٠ كان يقام عادة فوق السبيل مكتب لتعليم الأطفال القرآن الكريم والكتابة ٠

والحمامات القصور الخانات (١١) وتتميز هذه الطبوغرافية الدقيقة بمادة تاريخية طريفة ، فاذا تكلم مثلا عن المنحر الذى اتخذه الخلفاء الفاطميون لذبح الأضاحى فى عيد الأضحى وصفه وصفا شائقا خروج الخليفة فى موكبه الرائع لأداء صلاة العيد ثم الذبائح التى كانت تنحر فى ذلك اليوم وما يتخلل ذلك من مراسم ، ثم الأسمطة التى كانت تمد الى غير ذلك من صور للحياة الاجتماعية فى مصر أيام الفاطميين ـ وفى هذا الجزء وصف على مبارك قصر ابن طولون ومدينة القطائع وما طرأ عليها ٠ وقد ترجم فى هذا الجزء أيضا لبعض الوزراء الفاطميين والأمراء المماليك وكبار مشايخ الطرق الصوفية ومن اليهم ممن أطلقت أسماؤهم على بعض المساجد والمنشآت العامة ، كما ترجم لبعض كبار موظفى الحكومة المصرية المعاصرين له مثل عبد الله باشا فكرى وزير المعارف فى وزارة محمود سامى البارودى ، وترجم أيضا لحسين باشا حسنى ناظر مطبعة بولاق الأميرية ، وحجاج الخضرى أحد أبطال المقاومة الشعبية فى مطلع القرن التاسع عشر والذى تميز بالبطولة والفدائية ، ورفلة عبيد أحد كبار التجار فى حى الجمالية،

(١١) خانات جمع خان وهو وكالة او فندق معد لاستقبال التجار والحجاج وبضائعهم او أمتعتهم ودوابهم ويوجد به اصطبل للدواب وفى أعلاه غرف ينزل فيها الوافدون وتطل هذه المساكن على ساحة يطلق عليها الحوش يتوسط الخان ٠ وكان يلحق بالخان بئر ماء وميضاة ومسجد صغير ٠

وترجم لشيخ قبيلة كتامة الذين وفدوا مع الفاطميين الى مصر • واختتم هذا الجزء بمائة وخمسة وعشرين بحثا تنـــاول فيها شتى الموضوعـات فى التاريـــخ والمجتمع والطبوغرافية وما الى ذلك مثـل أسواق القاهرة القديمة سواء التى كانت قائمة فى شـــارع مرجـوش أو الغورية أو فى شارع الخردجية بخط الجواهرجية ، وخزانة الكتب أيام الفاطميين وخزانة الكسوة بشارع النحاسين وشتى أنواع الخـــزائن التى كانت قائمة فى هذا الشارع مثـــل خزانة الفرش وخزانة الخيم والأمتعة والسلاح والسرج وخزانة الطيب والجواهر والطرائف ، ثم مشيخة الجامع الأزهر وتجديد بناء المسجد الحسينى وبيان ما أنفق فى سبيل ذلك • ويلاحظ أن الفهرس الموضوع لهذا الجزء يتبع النظام التالى فى ذكر خطط القاهرة مع التقيد بترتيب الحروف الأبجدية فى كل قسم : الشوارع – الحارات – العطف – الدروب – الجوامع – الزوايـا – المدارس – التكايا – الأضرحة – الأسبلة – الحمـــامات – الدور – القصـــور – الكنائس – المكاتب الأهلية – الوكائل – التراجم – المطالب (٢١) •

★★★

وفى الجزء الثالث سار على مبارك على نسق الجزء الثانى فتكلم عن بقية شوارع القاهرة ومنشآتها ، وبدأ بشارع بين السورين • وعالج المؤلف موضوعين هامين فى

---

(١٢) المطالب يقصد بها ابحاث •

هذا الجزء هما الأسطول الحربى المصرى على عهد الفاطميين وقواعده فى دمياط والاسكندرية وغيرهما ، ثم موضوع الرزق الاحباسية الموقوفة على جهات البر ، وأفاض فى شرح أنواعها وتطورها التاريخى • وقد حفل هذا الجزء بتراجم لعدد كبير من الأعلام فى تاريخ مصر الوسيط والحديث سواء فى دنيا المال والاقتصاد أو فى عالم السياسة أو فى مجال العلم أو الدين أو الحرب أو الادارة، نذكر على سبيل المثال أحمد المحروقى كبير تجار القاهرة وقد ارتبط اسمه بأحداث الحملة الفرنسية على مصر وما تلاها ثم ابنه محمد المحروقى ، والقائد جوهر الصقلى والشيخ محمد مرتضى الزبيدى من أبرز علماء مصر فى القرن الثامن عشر والذى شرح القاموس وأطلق على شرحه تاج القاموس فى عشرة مجلدات ، ثم الأمير أزبك بك الذى أطلق اسمه على منطقة الأزبكية ، ثم الأمير حسن بك الجداوى ، كما ترجم ترجمة مقتضبة نوعا ما للأمير محمد بك الألفى كبير بيت الألفية فى أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر • كما ترجم المؤلف لبعض المجاذيب من الدراويش مثل الشيخ على البكرى (١٣) والشيخة أمونة • وكان الاثنان وأضرابهما يمثلون قطاعا هاما فى المجتمع المصرى فى القرن الثامن عشر هو قطاع الدراويش وقد

(١٣) كان هذا المجذوب يسكن سويقة الكرى فأطلق عليه اسم البكرى نسبة الى السويقة وهو بذلك ، كما يقرر الجبرتى ، لا يمت بصلة الى أسرة البكرى • انظر الجبرتى ج ٢ ص ٢٤٨ • وانظر قصته فى ج ٣ صص ٨٠ ـ ٨١ •

إتخذ معظمهم الدجل والشعوذة وسيلة لابتزاز الأموال من البسطاء رجالا ونساء باسم الدين والدين منهم براء .

وتضمن هذا الجزء أيضا مائة وأربعة وستين بحثا تناول فيها موضوعات متنوعة نذكر منها على سبيل المثال تحديد مواقع الأرض الحكر (١٤) فى القاهرة وأنواعها وأوجه استغلالها ، وانشاء دار الكتب المصرية ودار الضيافة وزواج السلطان طومانباى آخر سلاطين دولة المماليك الشراكسة ، وخان الحمزاوى ، وأسوار القاهرة ، والمبانى التى أزيلت عند بناء قصر عابدين ، ومسكن بونابرت فى بيت الألفى بالأزبكية وسكنى محمد على فيه ، ومدرسة الألسن ، ومعنى لفظة الخور لغة وعرفا عندما تعرض لخليج الخور بشارع قنطرة الدكة ، وكذلك سراى العتبة الخضراء . وأفرد فى نهاية الجزء الثانى بحثا مستفيضا عن أسرة البكرى التى ينتهى نسبها الى أبى بكر أول الخلفاء الراشدين ويضفى المؤلف على هذه الأسرة الكثير من عبارات التبجيل . وانتهز الفرصة فترجم لأبى بكر الصديق ثم تكلم عن أصلاب أسرة البكرى وبعض فروعها وانتقل بعد

---

(١٤) الحكر نوع من أنواع استغلال الأراضى الموقوفة ويكون تأجيرها لغرض معين كالبناء والغراس فيها دون تقييد بمدة معينة فهو تمليك المحتكر حق البقاء والقرار فى الأرض المحتكرة له مادام ملتزما بدفع أجرة المثل . انظر : محمد سلام مدكور . موجز الوقف من الناحية الفقهية والتطبيقية ١٩٦١ صص ٩٧ ــ ٩٩ وانظر أيضا دكتور عبد المنعم البدراوى : المدخل للعلوم القانونية ١٩٦٢ صص ٥٠٩ــ٥١١ .

ذلك الى بيان الطرق الصوفية التابعة لمشيخة البكرى والتكايا التابعة لها ، وشرح تحت عنوان «العوائد الخصوصية للبيت الصديقى » احتفالات المولد النبوى الشريف التى كانت تقام على مر العصور فى المشرق والمغرب العربيين ثم وصف هذه الاحتفالات فى مصر الحديثة وحرص على ابراز دور أسرة البكرى فى هذه الحفلات وما تنفقه فى سبيلها من أموالها . وقد جاء فهرس هذا الجزء متمشيا مع فهرس الجزء الثانى من حيث ترتيب ذكر المنشآت مع اختلاف يسير يتمثل فى تقديم أو تأخير بعضها فذكرها على النحو التالى : الشوارع - الحارات - العطف - الدروب - الجوامع - الزوايا - المدارس - الأضرحة - الأسبلة - المكاتب الأهلية - الكنائس - الحمامات - الوكائل - الدور - التراجم - المباحث والمطالب .

★★★

وأفرد على مبارك الجزء الرابع لمساجد القاهرة وابتدأ بتاج الجوامع وهو الجامع العتيق أو مسجد عمرو بن العاص على أساس أنه مسجد أسس فى مصر الاسلامية ، فكتب فيه بحثا تناول فيه تاريخ انشاء المسجد والتطور المعمارى الذى طرأ عليه من حيث التجديدات والزيادات التى أضيفت اليه ، وزوايا التدريس بهذا المسجد . وانتقل المؤلف الى ذكر مساجد القاهرة ملتزما بالترتيب الابجدى لأسمائها ، فبدأ - بعد جامع عمرو - بالجامع الأزهر وأفاض فى عرض تاريخه عبر القرون ووصف الجامع من حيث حدوده وأبوابه

ومقاصيره ومحاريبه وصحنه وأروقته ومنـاراته ومزاوله والقناديل التى تستخدم فى انارته والصهاريج التى تستخدم كمستودعـات للمياه العـذبة والمدارس الملحقة بالجـامع الأزهر ، وتطـرق الى شرح طـرق التدريس فى الأزهـر وأساليب الامتحانات وطلبة الأزهر وعاداتهم ومأكلهم ، وترجم للعلماء الذين تولوا مشيخة الأزهر • والحـق أن ما كتبه على مبارك عن الأزهر فى هذا الجزء يعتبر كتابا قائما بذاته • ومضى بعد ذلك يستعرض مساجد القاهرة واختص المساجد الكبرى بالاسهاب والتأريخ لها ، ونذكر منها مساجد ابن طولون والحاكم بأمر الله والسلطان حسن والرفاعى والمسجد الحسينى والسلطان الحنفى وأبى العلا وأولاد عنان والدمرداش • وجريا على عادته ترجم لهذه الشخصيات التى أطلقت أسماؤها على المساجد سواء كانت شـخصيات دينية أو سـياسية • واختص سيرة الحسين ابن أبى طالب باسهاب فترجم للحسين وخروجه من مكة الى العراق واستشهاده بها والأحاديث التى كانت تروى وما اتخذه الشيعة يوم قتله والعادات التى لايزال يتمسك بها الشيعة الى الوقت الحاضر فى شهر المحرم • وترجم المؤلف أيضا لعدد من المتصوفة المدفونين بخانقاه سعيد السعداء • وانتهى فى هذا الجزء عند مسجد الرويعى •

★★★

ومضى على مبارك فى الجزء الخامس على نفس النهج يؤرخ لبقية مساجد القاهرة مبتدئا بحرف الزاى حتى آخر

الأبجدية العربية . ومن أهم المساجد الكبرى التى أرخ لها فى هذا الجزء زين العابدين والسيدة زينب والسيدة سكينة والسيدة عائشة والسيدة فاطمة النبوية والامام الشافعى وجامع المؤيد والظـــاهر والغورى والقاضى يحيى وجامع الكخيا ـ على مقربة من ميدان الأوبرا حاليا ـ وجامع الليث بن سعد بالقرب من مسجد الامام الشافعى وجامع سنان باشا ببولاق على مقربة من شاطىء النيل وجامع قايتباى بقلعة الكبش والروضة والصحراء وجامع المؤيد وقوصون وجامع السادات الوفائيـــة وجامع محمد على بالقلعة وقد أسهب فى وصف الجامع الأخير وجامع الامام الشافعى من قبل . وأورد المؤلف فى هذا الجزء بيانا عن الأوقاف الموقوفة على جامع كل من الغورى وســيدى عقبة وقايتباى وكوم الشيخ سلامة والكيخيا ومحمد أبى الذهب والامام الشافعى وجامع سنان باشا وملحقاته من السبيل والمكتب والخان الكبير ببولاق . وذكر فى هذا الجزء أيضا حادثين يعكسان صورتين من صــور المجتمع فى مصر وقد وقع أولهما فى النصف الأول من القرن الثامن عشر وثانيهما فى نصفه الثانى . ويتلخص الحادث الأول فى أن واعظا تركيا أخذ يعظ المصلين فى مسجد المؤيد خلال شهر رمضان ١١٢٣ (١٣ أكتوبر ـ ١١ نوفمبر ١٧١١) وحمل حملة عنيفة على ما يفعله فريق من المصريين بأضرحة الأوليــاء وايقــاد الشموع والقناديل فوقها وحولها وجاهر بأنه لا يجوز بناء القباب فوق أضرحة الأولياء . وقد صادفت آراء هذا الواعظ

التركى قبولا من جمهرة المستمعين وتحمسوا لها ، الا أن نهاية الواعظ كانت مؤسفة اذ تكتل ضـــده بعض علماء الأزهر وقاضى القضاة وانضم اليهم الباشا العثمانى ومن ثم أصدر الأوامر الى الجنود بنفى الواعظ وألقوا القبض على زعماء المصريين الذين ناصروه وأوسعوهم ضربا واهانة ونفوا بعضهم • أما الحادث الثانى فيتمثل فى أغرب عملية نصب ارتكبت فى القـاهرة سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ ــ ١٧٦٠) وهى حادث العنزة الصغيرة التى احتفظ بها الشيخ عبد اللطيف كبير خدم مسجد السيدة نفيسة ونسج حول العنزة قصصا خيالية تدل على أنها تتمتع بكرامات شتى وتسامع الناس بهذه القصص حتى أصبحت العنزة حديث القاهرة فأقبل أهلها من كل فج لزيارة العنزة ويقدمون للشيخ النذور والهدايا • وأوغل الشيخ فى استغلال العنزة والجماهير معا ، فقال انها لا تأكل الا قلب اللوز والفستق ولا تشرب الا ماء الورد والسكر المكرر ، فحمل اليه الأهالى هذه الأصناف بكميات وفيرة وعملوا للعنزة قلائد وأطواق من الذهب الخالص • وسـمع الأمـير عبد الرحمن كتخدا ــ كبير الأمراء المماليك ــ بقصة العنزة فأرسل الى الشيخ عبد اللطيف يلتمس منه الحضور ومعه العنزة ليتبرك بها هو وأهل بيته • فركب الشيخ البغلة ووضع فى حجره العنزة وتحف به الطبول والأعلام والجم الغفير من الشعب حتى اذا وصل هذا الركب الى دار الأمير أمر بادخال العنزة الى الحريم ليتباركن بها ، وكان قد أوصى بذبحها وطبخها

وجيء بالغذاء وفيه لحم العنزة فأكل منها الأمير والشيخ وضيوف الأمير من الأمراء والأعيان • ولما فرغوا من الأكل وتناولوا القهوة طلب الشيخ العنزة ليعود بها الى مقر عمله فأخبره الأمير بما حدث وأنبه تأنيبا عنيفا وأمر بأن يوضع جلد العنزة على عمامته وأن يذهب بها كما جاء بموكبه وبين يديه الطبول والأعلام وعهد بشرذمة من الجنود بايصاله وهو على هذه الصورة النكراء الى المسجد النفيسى • وقد حفل هذا الجزء أيضا بعدد من الشخصيات ترجم لها المؤلف نذكر منها سنان باشا الذى قاد حملة عسكرية عثمانية كبرى لاعادة فتح بلاد اليمن سنتى ١٥٦٨ ـ ١٥٦٩ وكان الزيدية قد تمكنوا من طرد العثمانيين من أغلب بقاع اليمن • ودارت حرب ضروس بين العثمانيين وبين الزيدية انتصر فيها سنان باشا وسمى هذا الفتح بالفتح الثانى لليمن • ومما ذكره على مبارك أمرين : أولهما أن سنان باشا ضم الى الحملة العسكرية عددا من الأمراء المماليك صناجق مصر فاستشهدوا جميعا فى حرب اليمن ، وثانيهما أن سنان باشا عين مرتين واليـــا على مصر وكانت المرة الأولى قبل حملة اليمن من ٢٤ شعبان ٩٧٥ حتى ١٣ جمادى الآخرة ٩٧٦ (فبراير ١٥٦٧ ـ ديسمبر ١٥٦٨) وكانت المرة الثانية بعد انتهاء حملة اليمن من أول صفر ٩٧٩ حتى سنة ٩٨١ (يونيو ١٥٧١ ـ ١٥٧٤) وأنه تولى الصدارة العظمى أى رياسة الوزارة فى الآستانة أربع مرات • ومن الشخصيات التى ترجم لها على مبارك فى هذا الجزء أيضا الملك الكامل وشجرة

الدر والظاهر بيبرس والسلطان المؤيد والأشرف قايتباى وقانصوه الغورى ومحمد أبو الذهب وعبد الرحمن كتخدا ، ومن الشخصيات الدينية الامام الشـــافعى والشيخ أحمد السبكى وعقبة بن عامر وذو النون المصرى وعمر بن الفارض والسيدة عائشة والسيدة سكينة والسيدة النفسية كما كتب نبذة عن السيدة زينب .

★★★

وكان الجزء السادس هو ختام الأجزاء التى خصصها المؤلف لمدينة القاهرة . وقد استهل هذا الجزء بالكلام عن مدارس القاهرة فأرخ لست وتسعين مدرسة أنشئت منذ عصر الدولة الأيوبية وبعضها مدارس قائمة بذاتها وبعضها ملحق بالمساجد والبعض الثالث تحول عن غرضه الأصلى فأصبح يستخدم فى أغراض أخرى بعيدة عن التعليم مثل مدرسة الأشرف اينال وقد أنشأها بالصحراء حيث القرافة الكبرى ، الملك الأشرف أبو النصر اينال العلائى الناصرى سنة ٨٦٠ هـ (١٤٥٦ م) فقد أصبحت مخزنا للبارود يتبع وزارة الحربية . ومعظم المدارس التى أرخ لها على مبارك يرجع الى القرن الثامن الهجرى وان كان بعضها يرجع الى القرن السابع ثم القرنين التاسع والعاشر . ويلاحـظ أن المؤلف لم يؤرخ فى هـذا الجزء للمدارس الحديثـة التى أنشئت فى القاهرة فى القرن التاسع عشر الميلادى مثل مدرســة الطب البشرى والطب البيطرى والمهندسخانة والزراعة والصيدلة والكيمياء والألسن والمعادن وغيرها . ومن المدارس انتقل الى الزوايا وهى المساجد الصغيرة وقد

أرخ لمائة وست وتسعين زاوية ، كان معظمهـا تقـام فيه الشعائر وقليل منها معطل الشعائر وبعضها تنفق عليه وزارة الأوقاف أو « تحت نظر ديوان عمـوم الأوقاف » بمصطلح العصر وبعضها يعتمد على الوقف الأهلي ، اذ كان منشـئو هذه الزوايا يشيدون فى بنـاية الزاوية بعض الحوانيت أو بعض المساكن ويوقف ايرادها للانفاق منه على الزاوية • وكان المؤلف حريصا على ذكر التجديدات التى عملت للزوايا على مر العصور فكان يذكر اسم الشخصية التى أمرت بتجديد الزاوية وما أنفق عليها فى عمليات التجديد ثم يقرو ذلك بذكر الوقفية التى عملت للانفاق على الزاوية • وخـير مثل يضرب فى هذا الصـدد زاوية الطحاوى بالقرب من الامام الشافعي ، فقد جاء فى الخطط فى هذا الجزء السادس أن حمزة باشا الوالى العثمانى أمر بتجديد الزاوية سنة ١٠٩٨ هـ (١٦٨٦ ــ ١٦٨٧) وأقام بها سبيلا وحوضا وساقية ومزولة راسية ومزملة لشرب الماء • وفى حجة وقفيته المؤرخة فى ١٠٩٩ هـ (١٦٨٧ ــ ١٦٨٨) أنه أرصد على هذه الزاوية والمقـام المدفون فيه الشيخ أحمد الطحاوى والسبيل والحوض والساقية جهات بر عديدة ينفق من ايرادها على أجرة الجمال التى تحمل الماء يوميا من النيل الى السبيل وحدد مرتبات شهرية تدفع بانتظام الى كل من شيخ القراء والقراء بالزاوية والمقـام والبواب والفراش والخفير ومفرق الربعـة وخدم كل من الزاوية والمقام والسبيل وكذلك ثمن زيت القناديل وأجرة الوقاد • وذكر المؤلف أنه توجد فى القاهرة ست عشرة

زاوية تسمى كل واحدة زاوية الأربعين ، وأن فى معظم الزوايا أضرحة لبعض المشسايخ تعمل لهم حضرة يوما فى الأسبوع يتلى فيها القرآن الكريم والأوراد أو الأحزاب اذا كان الشيخ المدفون من المتصوفة ، كما يقام له مولد كل عام . وتستدل أيضا من الدراسة الفاحصة للزوايا التى أرخ لها على مبارك أنه كان يقيم فى بعضها مجذوب من الدراويش وغالبـــا ما يطلق على هذه الزاوية اسم هذا الشخص المجذوب ، ففى زاوية ابراهيم بن عصيفير بشارع بين الســورين كان يقيم فيها هذا الابراهيم وتبـدو منه تصرفات غريبة ، فاذا مرت عليه جنازة وأهلها يبكون هرع الى النعش يمشى أمامه ويقول زلابية هريسة ويكررها . وقد مات هذا المجذوب سنة ٩٤٢ هـ ابان الحكم العثمانى ودفن بالزاوية . ومن الزوايا التى من هذا القبيل زاوية الشيخ عبد الرحمن المجذوب بالحسينية وكان رجلا مقعدا يجلس على الرمل صيفا وشتاء واذا جاع أو عطش قال : أطعموه أسقوه . وكان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشــهر يسكت ، وقد دفن فى هذه الزاوية التى أطلق عليها اسمه . ومن الزوايا عاد على مبارك الى استكمال بحث مساجد القاهرة فأرخ لسبعة عشر مسجدا مع تراجم لأصحاب بعضها . وانتقل بعد ذلك الى الخوانق فأرخ لثمانى عشرة خانقاه وكان من بينها خانقاه سـعيد السـعداء وبيبرس وشيخو وقوصون ويونس وطناى النجمى وطيبرس . وانتقل المؤلف بعد ذلك الى الربط فتكلم عن سـبعة ربط كان من بينها رباط البغدادية والخازن والفخرى والمشتهى والست كليلة .

ومن الربط انتقل الى التكايا فذكر عشرين تكية منها تكية المغـاورى وشيخو والخلوتيـــة ودرب قرمز والسنانيـــة والمولوية والنقشبندية وتكية السيدة نفيسة وتكية السيدة رقية وتكية السادة الوفائية وتكية الهنود • ثم تكلم عن الأسبلة أو السبل فى القاهرة فذكر خمسة وخمسين سبيلا كان من بينها سبيل أم عباس ورضـــوان بك والسلطان محمود والسلطان مصطفى والشيخ صالح وحسن كتخدا عزبان وخليل أغا مستحفظان وطوسن باشا والست شوكار والست عائشة وعائشة هانم والعادلى والهياتم واليازجى • واستطرد على مبارك الى الحمامات العامة فى مدينة القاهرة فتكلم عن ستين حماما منتشرة فى أنحاء القاهرة ، كان من بينها حمام الأفندى وحمام الباشا وحمام الخليفة وحمام بابا وحمام الخواجة وحمام البشرى وحمام الثلاث وحمام الدرب الأحمر وحمام الذهبى وحمام السيوفى والشعرانى والصنادقية والصليبة وطولون والعتبة الخضراء والعدوى والعطارين والغورية وقلاوون والكيخيا والقربية والقاضى والمقـاصيص والمؤيد والنـاصرية • واختتم المؤلف الجزء السادس بالكلام عن الكنائس الموجودة فى القاهرة والتابعة لمختلف الطوائف المسيحية فذكر ست وعشرين كنيسة منها كنيسة الأرمن الكاثوليك وكنيسة الأروام وكنيسة خميس العهد وكنيسة الشوام والسبع بنات والسريانى والموارنة ، وذكر كنيسا واحدا لليهود ، ثم عاد وتكلم عن كنـائس الأقباط الأرثوذكس المقامة فى القاهرة حتى سنة ١٨٨١ وقد بدأ بالكنيسة البطريركية الكاتدرائية الكبرى وقال

انها معروفة أيضا باسم الكنيسة المرقسية لأنها مرسومة باسم القديس مرقس الحوارى المبشر بالانجيل فى الديار المصرية ، كما أنها تعرف بالبطريكخانة وبالقلاية أيضا ، وأن معنى القلاية مسكن الرئيس الروحى ، ثم عرض بالتفصيل لتاريخ انشائها وكيف أن أخت السلطان العثمانى كانت قد مرت بمصر فى طريقها من الآستانة الى الحجاز لأداء فريضة الحج وسارع المعلم ابراهيم الجوهرى رئيس كتبة القطر المصرى بتقديم خدمات جليلة لها أثناء اقامتها فى الديار المصرية فى الذهاب والعودة ، كما قدم لها هدايا قيمة تناسب مقامها • فأرادت مكافأته واستفسرت منه عما يريده فالتمس منها المساعدة فى استصدار مرسوم من السلطان بالاذن فى بناء كنيسة بالأزبكية ورفع الجزية عن الرهبان وغير ذلك من مسائل طائفية ، وقد استجابت الآستانة لهذه الطلبات وانتهى العمل فى تشييدها سنة ١٨٠٠ وأخذ على مبارك يصف الكنيسة والهياكل المقامة بها والقباب والنقوش والأعمدة الرخامية وما الى ذلك • وأرخ بعد ذلك لعدد آخر من كنائس الأقباط الأرثوذكس فى القاهرة ومنها الكنيسة الأولى والكنيسة الثانية بحارة زويلة وكنيسة حارة الروم السفلى وكنيسة الشهيد جرجيوس وكنيسة حارة السقائين • وترجم لبعض مشاهير الأقباط فى القرن التاسع عشر مثل دميان بك جاد شيحه وميخائيل جاد تادرس عريان وابنه عريان بك تادرس • ثم أردف ذلك ببحث عن تاريخ بطاركة الأقباط الأرثوذكس وقد بدأ فيه حيث انتهى المقريزى الذى كان قد وقف فى

سرده لتاريخ البطاركة عند البطريرك اثناسيوس ابن القس أبى المكارم بن كليل وكان هذا البطريرك هو السادس والسبعون فى عدد البطاركة الذين تولوا الكرسى البطريركى الاسكندرى فأتم على مبارك تاريخ البطاركة مبتدئا بالبطريرك السابع والسبعين وهو غبرائيل الثالث ومضى يستعرض تاريخ كل منهم الواحد بعد الآخر حتى وصل الى البطريرك الثانى عشر بعد المائة وهو كيرولس الخامس وقد صدر أمر الخديو اسماعيل بتعيينه بطريركا فى سنة ١٨٧٥ .

★★★

وقد أفرد المؤلف الجزء السابع لمدينة الاسكندرية فبدأ بموقع المدينة وما كان يوجد به ابان العصر الفرعونى وحكم الفرس لمصر وانتقل الى حروب الاسكندر المقدونى وتأسيس مدينة الاسكندرية وتدرج الى تاريخ مصر أيام البطالمة والرومان وكيف اتخذ هؤلاء وأولئك الاسكندرية عاصمة للبلاد وخص مكتبة الإسكندرية ببحث خاص أوضح فيه مكانتها العلمية فى العالم وقتذاك وانتقل الى الفتح العربى لمصر وبناء مدينة الفسطاط وانساق الى نشأة الاسلام وأفاض فى شرح السيرة النبوية العطرة ثم خلافتى أبى بكر وعمر والفتوحات التى تمت وقتذاك فى آسيا وأفريقيا وعاد الى فتح مصر وتكلم عن موقف المقوقس من العرب أثناء العمليات الحربية وحصار عمرو بن العاص لمدينة الاسكندرية ، وناقش موضوع حرق مكتبة الاسكندرية وفند الفرية القائلة بأن العرب هم الذين أعملوا فيها النار ، ثم تكلم عن عدد الولاة والحكام والملوك والخلفاء والسلاطين

الذين تعاقبوا على حكم مصر منذ الفتح العربى ٦٤١ حتى قدوم الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ واستطرد الى مصر سنة ١٧٩٨ واستطرد الى الأزمات التموينية وموجات الغلاء والأوبئة التى تعرضت لها مصر خلال هذه الأحقاب ، واستعرض تاريخ بعض الولاة العثمانيين على مصر ، ثم شرح كيف فقدت الاسكندرية زعامتها السياسية والعلمية وكيف انتقلت هذه الزعامة الى الفسطاط فالقاهرة ، وأبرز دور صلاح الدين الأيوبى فى انهاء الحكم الفاطمى فى مصر والصراع الحربى الذى اشتد أواره بينه وبين الصليبيين وتدرج الى تاريخ الحروب الصليبية ـ ويسميها حرب الصليب ـ وخص بالذكر موقعة فارسكور سنة ١٢٥٠ « واقعة ستلويز المشهورة » وهو يقصد بلفظة ستلويز سانت لويس Saint Louis أى لويس المقدس وهو لويس التاسع ملك فرنسا وعاد فاطلق عليها « غارة سندلويز » وهو يقصد بهذه العبارة حملة لويس التاسع . وتكلم طويلاً عن هزيمته فى فارسكور ووقوعه فى الأسر واقتياده الى المنصورة وافتدائه بالمال الوفير . وخلص من هذا الاستطراد الى القول بأن « غارة سندلويز سنة ١٢٤٨ على الديار المصرية لم تضر بالقطر ، وانما أضرت باسكندرية لأن الفرنساوية والبندقين أضرموا فيها النار وتركوها حين علموا أنهم لا يمكنهم الاقامة بها وذلك سنة ١٢٥٠ » ثم تعرض لتاريخ الدولة الأيوبية ودولتى المماليك والحكم العثمانى وشرح النظم السياسية والادارية التى وضعها

العثمانيون لحكم مصر وكيف تطورت هذه الأنظمة تطورا أدى الى استئثار الأمراء المماليك بالنفوذ ، وتكلم عن حركة على بك الكبير ـ ويسميه على بك أباظة ـ وفشل هذه الحركة واستمر يؤرخ لمصر ابان حكم أبى الذهب ومراد بك وابراهيم بك حتى نزول الحملة الفرنسية أرض مصر . وخلص من هذا التاريخ الى حكم عام ينسحب على الاسكندرية وغيرها من بلاد القطر اذ قال « ومن النظر فيما تقدم من أخبار المدد السابقة والتقلبات التى مرت على تلك الديار علم أن مدينة الاسكندرية وغيرها من بلاد القطر بعد أن كانت متوجة بتاج المهابة والاجلال رافلة فى حلل السعادة والاقبال ، وكان وادى النيل مزينا من كل جانب بالمدن الفخيمة ذات المعابد والهياكل المشيدة العظيمة ، تلوح على صغير أهلها وكبيرهم لوائح الثروة والابتهاج ، نالها من شدائد الأزمان ما أخرها عن هذه التقدمات ... » .

وانتقل من هذا التعميم الى التخصيص وأخذ يتكلم عن تاريخ الاسكندرية منذ انشائها على عهد الاسكندر وأبرز الرأى الراجح بين المؤرخين وهو وان كان الاسكندر هو صاحب الفكرة فى انشاء المدينة لأن عصره لم يشهد سوى تخطيط المدينة واقامة بعض المبانى فان الذى قام ببنائها هو بطليموس سوتير « فالاسكندر له الفكرة الأصلية والى بطليموس ينسب تجسيمها » وناقش الآراء المتضاربة حول مكان قبر الاسكندر ثم شرح التطور الذى طرأ على مساحة المدينة وعدد سكانها وحياتهم الاجتماعية

فـى العصرين البطلمى والرومانـى وتكلم عـن مسلتى كليوباتره من حيث تاريخهما وأوصافهما والنقوش التى عليهما وانتقل الى عمود السوارى فتناوله بالشرح وتكلم عن التمثال الذى كان موجودا فوق هذا العمود ، وانتقل بعد ذلك الى الكلام عن أســـوار المدينة وشارع كانوب وجزيرة فاروس والمنار القديم والرصيف الحجرى المسمى هيبتا ستاد الذى كان يصـــل جزيرة فاروس بشاطىء البحر ، ووصف الميناء الشرقى وسعته والقصور التى كانت تزخر بها المدينة فى العصرين البطلمى والرومانى ، وفند الرأى القائل بأن نبى الله دانيال مدفون بالاسكندرية فى أسفل كوم الدكة تأسيسا على أنه مات قبل بناء الاسكندرية بثلاثة قرون وأنه قضى حياته فى بابل ، كما استند الى رأى محمود باشا الفلكى • وتكلم عن جامع أثرى هو جامع الألف عمود أو جامع السبعين ويطلق عليه أيضا الجامع الأخضر وحدد موقعه وذكر سبب تسميته بالألف عمـود وجامع السبعين ، وقرر أن هذا المسجد كان موجودا الى زمن الحملة الفرنسية • وانتقل الى تاريخ المدينة بعد الفتح العربى وما فعله المسلمون بها ومساحة المدينة على عهد الحملة الفرنسية وعدد الأبواب التى كانت بسورها القديم ووصف ضواحى المدينـــة فى العصرين البطلمى والرومانى واعتمد فى ذلك على ما ذكره سترابون وديودور وغيرهما • وانتقل الى الكلام عن خليج اسكندرية ومديرية مريوط ثم مدينة مريوط ثم بحيرة مريوط وعين حدود تلك المديرية والحاصلات الزراعية التى تجود فى أرضها وأوجه

النشاط العمراني الذي كانت تزخر به هذه المديرية . كما دخل في تفاصيل عن مدينة مريوط وبحيرة مريوط وتكلم عن الاجراء الحربي الذي أقدم عليه الانجليز مرتين في مطلع القرن التاسع عشر وهو قطع سد أبي قير ، وكانت المرة الأولى في سنة ١٨٠١ ابان الحرب التي خاضها الانجليز لاجلاء الفرنسيين عن مصر ومحاصرتهم الجنرال مينو في الاسكندرية ، والمرة الثانية في سنة ١٨٠٧ عند قدوم الحملة البريطانية على مصر واحتلالها الاسكندرية وتطرق الى وضع تاريخ موجز لحملة سنة ١٨٠٧ . وانتقل على مبارك الى الكلام عن الاسكندرية في القرن التاسع عشر وذكر عدد سكانها فقرر أنه بلغ في سنة ١٨٣٠ مايقرب من ١٣٠ ألف نفس ثم قفز هذا الرقم في سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ ـ ١٨٧٥) الى ٢٧٠ ألف نسمة ، وأشار الى القرار الذي اتخذته الحكومة المصرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر بالاذن للسفن الأجنبية في دخول الميناء الغربي وكان محظورا من قبل على هذه السفن دخوله ، وكان الميناء الشرقي هو المعد لرسو السفن الأجنبية على الرغم من الخطورة التي كانت تتعرض لهـا السفن في الميناء الشرقي ، وشرح ما نجم عن هذا القرار من ازدياد حركة السفن القادمة الى الاسكندرية وتنشيط الحيـاة الاقتصادية فيها ، وانتقل بعد ذلك الى حفر ترعة المحمودية سنة ١٨٢٠ والأسباب التي دعت الى حفرها ووصف مسار الترعة والأهوسة التي أقيمت عليها ونفقات حفرها والمنافع التي عادت على المدينة من انشائها واحياء موات الأراضي

فى اقليم البحيرة ، وذكر المبانى التى ألحقت بالترعة وكان من بينها مسجدان أحدهما عند مخرج الترعة فى العطف وثانيهما عند مصبها في البحر المتوسط وهو جامع التاريخ ، ومنها مخازن الغلال الأميرية وحفر مجرى تحت الأرض لتوصيل الماء العذب الى جهة الترسانة والجمرك ، وقد فتح فى عدة مواضع منه موارد لأخذ السقائين والأهالى الماء فى أى وقت شاءوا • وانتقل المؤلف بعد ذلك الى تعميق ميناء الاسكندرية ومد أرصفة ترسو السفن الكبيرة بجوارها للتخفيف من نفقات الشحن والتفريغ وانشاء ترسانة بحرية وجهود المهندس الفرنسى سيريزى فى بناء السفن ولم يفت على مبارك أن يشيد بكفاءة أحد الاسكندريين فى صناعة بناء السفن وهو الحاج عمر فانه « كان صاحب ادارة ومعرفة طبيعية واقدام على مثل هذه الأعمال مع الاصابة » وتكلم عن المدرسة البحرية التى أنشأتها الحكومة لاعداد الشبان المصريين للعمل بحارة على السفن المصرية وانشاء الفنار وقد وصف موقعه وارتفاعه وقوة اضاءته ، والحوض الجاف لاصلاح السفن وشرح طريقة استخدامه ، وتعرض بالشرح لقوة الأسطول الحربى المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وأورد عدة بيانات تفصيلية عن عدد السفن وأسمائها وعدد مدافعها وقوتها وعدد بحارتها وأنهم بلغوا ١٥٦٤٣ وأن عدد عمال الترسانة البحرية ٤٠٧٦ عاملا ، وعاد فذكر بيانا تفصيليا آخر عن القوات المسلحة المصرية ــ برية وبحرية ــ وأسماء الفرق والأسلحة التى تنتمى اليها وأنواعها وعددها

والأماكن المرابطة فيها وما ينفق عليها ، ثم تكلم عن واقعة تسليم أحمد فوزى باشا قائد الأسطول العثمانى ٢٥ قطعة بحرية من الأسطول لمحمد على عقب هزيمة الجيش العثمانى فى موقعة نصيبين فى ٢٤ يونيو ١٨٣٩ على يد الجيش المصرى ثم وفاة السلطان محمود الثانى فى ٣٠ يونيو ، وأورد على مبارك بيانا عن قوة هذه الوحدات وعدد رجالها. وخرج المؤلف من هذا السرد الى أن الاسكندرية قد غدت مدينة ذات بأس وقوة ، وقارن بين حالتها وقتذاك وحالتها عندما داهمتها حملة الجنرال بونابرت سنة ١٧٩٨ ووصف دخول الفرنسيين الاسكندرية • وتكلم عن حصيلة الرسوم الجمركية وقيمة البضائع الواردة والصادرة من سنة ١٨٢٣ حتى سنة ١٨٤٢ • وأفرد بحثا عن الاسكندرية ابان حكم ابراهيم باشا وبحثا آخر عنها ابان حكم عباس الأول • ويلاحظ أن على مبارك قد أشاد بحكم عباس الأول ولم يبخسه حقه كما فعل معظم الذين أرخوا لهذا الوالى • وكان على مبارك موضع تقدير عميق من عباس الذى استفاد به فى تنظيم المدارس وعينه ناظرا لمدرسة المهندسخانة وملحقاتها • تكلم على مبارك عن الأنظمة العسكرية التى ادخلها عباس على الجيش المصرى واهتمامه باقامة الاستحكامات العسكرية فى الاسكندرية وغيرها من ثغور مصر الشمالية على ضوء ما كان يقترحه جاليس بك مدير الاستحكامات • وقال على مبارك أن عباسا قد أنشأ ثلاثة حصون جديدة فى كل من العجمى وأبى قير ومقابر اليهود التى أنشأ فيها أيضا مستودعا للمواد

الحربية كان يسع تسعة آلاف قنطار بارود ، وأنه بنى عدة مستشفيات عسكرية كان من بينهـــا مستشفى فى أبى قير ، وبنى ورشـــة للطوبجية فى وســط المدينة على مقربة من كوم الناضورة تشمل أقساما للنجارة والحدادة والبرادة والسبك • وذكر على مبارك أيضا أن عباسا أمر باجراء عملية مسح للشواطىء المصرية ابتداء من الاسكندرية شرقا حتى العريش ، وغربا حتى مرسى مطروح التى كانت تعتبر الحد الفاصل بين حدود مصر الغربية وبين طرابلس الغرب • وظل الأمر على ذلك حتى حكم الخديو اسماعيل فاتضح بما لايدع مجالا للشك أن السلوم هى آخر بلدة مصرية تقع على حدود مصر الغربية وسجل ذلك التحديد فى خرائط عسكرية • وقد أمر عباس بأن تمتد عمليات المسح لتشمل بحيرة مريوط الى حدود الأراضى الزراعية فى اقليم البحيرة والى حدود الأراضي المرتفعة جهة وادى النطرون • وأشار الى اهتمام عباس اهتماما زائدا بالمحافظة على صهاريج المياه فى الاسكندرية لمواجهـــة الطوارىء ، وكانت أحداث قطع الانجليز لسد أبى قير لاتزال ماثلة فى الأذهان • ويلاحظ أن هذا الاهتمام بمسائل الطوارىء والتعزيزات العسكرية كان مرده الى الأزمة السياسية التى قامت بين القاهرة والآستانة حول تطبيق قانون التنظيمات • وقد ظل هذا الاهتمام قائمـــا لأنه بعد أن ســويت أزمة التنظيمات اشتركت القوات المصرية فى حرب القرم الى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا • وأشار المؤلف فى هذا البحث الى الطريق العسكرى الذى أنشىء من قلعـة

القبارى الى باب العرب ليجتازه الجنود فى تحركاتهم ، وذكر المحطات الواقعة على الطريق من الاســـكندرية الى السلوم وانتقل الى مشروع استخراج الاسفنج من الشواطىء المصرية فى منطقــة السلوم بمعرفة أحـــد الملتزمين لمدة عشر سنوات تبدأ من سنة ١٢٩١ هـ ، ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥ م) وفق شروط معينة ٠ وتعرض المؤلف لتخطيط المنطقـــة الفضاء الواقعة بين مينا البصل وميناء الشراقوة حيث شيدت مستودعات ضخمة للبضائع الواردة والصادرة ، وأصبحت هذه المنطقة تعج بنشاط اقتصادى واسع لقربها من الميناء الغربى وشـــاطىء ترعة المحمودية حيث كانت السفن النيلية تفرغ شبـــحناتها وفى نفس الوقت كانت السفن البحرية تشحن البضائع المصدرة الى الخارج ٠ كما أشار المؤلف الى اهتمام عباس بتعمير جهات الحضرة والمندرة والسيوف والرمل ، وخلص من هذه المشروعات المتعددة الى المشروع الرئيسى وهو مد الخط الحديدى من الاسكندرية الى القاهرة على عهد عباس واستعرض المؤلف المحاولات التى بذلتها بريطانيا على عهد محمد على لانشاء خط حديدى من القاهرة عبر الصحراء الى السويس وكيف وافق محمد على أول الأمر على المشروع واستورد مقادير من القضبان والآلات ، ثم عاد فصرف النظـــر عن المشروع واستخدم القضبان فى مد خط من طرا الى شاطىء النيل لنقل الأحجار اللازمة لمشروع القناطر الخيرية ، وتكلم عن تنظيم الطريق البرى من السويس الى القاهرة فالاسكندرية على عهد محمد على وكيف اتجه هذا الوالى لتمصير الأجهزة

الادارية التى تشرف على تنظيم هذا الطريق واختتم المؤلف البحث بشرح بعض الملابسات التى أحاطت بانشاء الخط الحديدى من الاسكندرية فى اتجـــاه القاهرة • وأعقب على مبارك هذا البحث ببحث آخر عن الاسكندرية ابان حكم الخديو اسماعيل ، فذكر أن عدد سكانها حين تولى هذا الخديو الحكم فى يناير ١٨٦٣ كان قد بلغ ١٧٠ ألف نفس ثم قفز فى سنة ١٨٧٢ الى ٢١٢٫٠٤٣ نسمة ومن بين هذا العدد ٤٧٫٣١٦ أجنبيا • وأورد احصائيــة عن استهلاك اللحوم فى الاسكندريه وأوضح أن هذا الاستهلاك قد زاد زيادة كبيرة للغاية ، وأرجع هذه الزيادة الى زيادة حركة النشاط التجارى فى المدينة وارتفاع مستوى المعيشة بها، ودلل على ذلك أيضا باحصائية طريفة عن وسائل النقل فى الاسكندرية ومنها يتضح أن عدد عربات الركوب وخلافها قد بلغ ١٤٣١ من عربات حنطور ومزدوجة ومفردة وعربات ركوب بالأجرة هذا عدا عربات أفراد أسرة محمـــد على وتوابعهم وعربات الأجانب • ثم تكلم عن الشوارع التى فتحت فى ذلك العهد وما تم تبليطه منها حتى سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠ م) واقامة تمثال محمد على فى ميـــدان المنشية وقد بلغت تكاليف اقامتــــه مليونين مـــن الفرنـــكات • وانتقل الى الكلام عن التقسيم الادارى للمدينة ، فقرر أن بها ثمانية أقســـام للشرطة ـ أو الضبطية بمصطلح ذلك العصر ـ وأن فى كل قسمين معاونا واحدا • وتكلم طويلا عن ضاحية الرمـــل وجهود الحكومة لتعميرها وتنشيط حركة الاصطياف فى ربوعها وتيسير المواصلات بينها وبين

المدينة • وانتقل الى الكلام عن مساكن المدينة ودور قناصل الدول فى الاسكندرية التى اتخذوها مصيفا لهم ينتقلون اليها من القاهرة فى السكة الحديدية على نفقة الحكومة المصرية وانتقال الحكومة الى الاسكندرية ثلاثة أشهر فى الصيف • وقرر أن محمد على هو الذى استن هذا التقليد، وأوضح المنافع الاقتصادية والاجتماعية التى تعود على المدينة من انتقال الحكومة اليها صيفا • وتكلم عن مساجد الاسكندرية فقال ان بها من المساجد الجامعة ٤٩ جامعا ومن الزوايا ٩٧ وتضم بعض الزوايا أضرحة لبعض الأولياء بينما البعض الآخر خال من الأضرحة ونذكر على سبيل المثال من المساجد التى أرخ لها فى اسهاب أو ايجاز : مسجد أبى العباس المرسى وياقوت العرشى وتاج الدين ابن عطاء الله الاسكندرى ونصر الدين والبوصيرى والشيخ تمراز والحجارى والمغاورى وعبد الرزاق الوفائى والحلوجى والصورى وسيدى جابر الأنصارى ونبى الله دانيال والطرطوشى وسيدى مجاهد وبجميع هذه المساجد أضرحة من تنسب اليهم • ومن المساجد الخالية من الأضرحة مسجد طاهر بك ومسجد سلطان ومسجد محرم بك ومسجد كرموز ومسجد الشيخ بالميدان ومسجد عبد اللطيف وهو معد لصلاة الجنازة • وانتقل الى الكلام بعد ذلك عن كنائس المدينة فقرر أن عددها ثلاث عشرة كنيسة : عشرة للنصارى وثلاث لليهود • وذكر أسماءها وأماكنها وتكلم أيضا عن فنادق الاسكندرية ومستشفياتها وحماماتها العامة ومقاهيها ومسارحها وأسواقها والجمعيات الخيرية

الأجنبيــة وشركات التأمين والبورصـــة وبيوت الرهن والشركات التجارية بها وطوائف الصناع ورجال الحرف والمدارس المصرية والأجنبية • وأفرد بحثا ضافيا عن ميناء الاسكندرية فتكلم عن المنشآت الحديثة التى تمت به ابان حكم اسماعيل من انشاء حوض عائم من الحديد لاصلاح السفن يحل محل الحوض الذى كان محمد على قد أنشأه من الحجر والذى أصبح لايساير تطور صناعة بناء السفن، وذكر أنه صنع فى فرنسا سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨ ــ ١٨٦٩)• وحدد ارتفاعه وعمقه وعرضه ووزنه وقوة آلاته وقرر أن تكاليفه بلغت ١٢٦٫٣٦ جنيها مصريا وقد أطلق على مبارك على الحوض لفظة دوك وهى مأخوذة من الكلمة التى تستعمل فى اللغتين الانجليزية والفرنسية dock وشرح أهمية وجود أحواض لاصلاح السفن فى الموانى الكبرى ، والمقصود بكلمة حوض • ثم تكلم عن حاجز الأمواج الذى أقامتـــه الحكومة من جزيرة رأس التين الى العجمى ليقى المينـــاء طغيان الأمواج ويجعل السفن الراســـية به بمنجاة من العواصف وجعل فيه البوغاز لمرور السفن فيه ، وبنـــاء أرصفة للشحن والتفريغ ، ومد خطوط حديدية الى أرصفة الميناء لتسهيل تلك العمليات ثم أورد سبع احصائيات عن النشاط التجارى البحرى للاسكندرية ومقارنته بنشاط الموانى المصرية سواء فى البحــر المتوسط أو فى البحر الأحمر • ومن هذه الاحصائيات احصائية عن عدد السفن التى دخلت ميناء الاسكندرية ابتداء من سنة ١٨٣٧ حتى سنة ١٨٧٢ واحصائية ثانية عن عدد الوافدين من الأجانب

على ميناء الاسكندرية خلال هذه الفترة وقيمة البضائع الصادرة والواردة اليه في سنة ١٨٧٠ واحصائية مقارنة عن قيمة الصادرات والواردات في موانى الاسكندرية ودمياط وبورسعيد والسويس والعريش والقصير وسواكن ومصوع ، واحصائية أخرى توضح حجم التبادل التجارى بين مصر وبين كل من انجلترا وفرنسا وبلاد اليونان وأمريكا والسويد والمغرب والنمسا وايطاليا وبلجيكا وروسيا وألمانيا والشام وتركية وأوربا وتركية آسيا ، واحصائية عن عدد السفن التى دخلت ميناء السويس فى الفترة من سنة ١٨٤٩ حتى سنة ١٨٧٢ وكيف تضاعف عددها حوالى أربع مرات ، ثم احصائية أخرى عن عدد السفن التى دخلت موانى سواكن والقصير ومصوع وحمولة هذه السفن . ومن ميناء الاسكندرية انتقل المؤلف الى الكلام عن مصلحة وابورات البوستة الخديوية والنجاح الذى حققته واتساع نطاق أعمالها وتملكها ست وعشرين باخرة تجوب البحار ناقلة المسافرين والبضائع والبريد وما تستهلكه كل سفينة فى السنة من الفحم مقدرا بالأطنان ، وأورد احصائية بأسماء خمس وعشرين باخرة من سفنها وقوة كل منها ، ثم أسماء ١١ من سفن البحرية المصرية وقوة كل منها ومجموع حمولتها ونذكر على سبيل المثال أسماء ثلاث سفن هى « المحروسة » وقوتها ٨٠٠ حصان ومخصصة لركوب الخديو ، و « مصر » وقوتها ٦٠٠ حصان ، ومخصصة لركوب المعية الخديوية ، و « الغربية » وقوتها ٥٠٠ حصان ، ومخصصة لركوب

الفاميليا الخديوية – أى العائلة الخديوية – ثم استعرض أسماء شركات الملاحة البحرية الأجنبية ونشاطها ومواعيد سفر سفنها ، وانتقل بعد ذلك الى الكلام عن الفوائد التى عادت على الاسكندرية من ربطها بالشبكة الحديدية وبأسلاك البرق وتكلم عن الشبكة الحديدية فى مصر وطول الخطوط الحديدية مقدرة بالأميال ، وانتقل الى الكلام عن سكك حديد السودان وأقسامها ومحطاتها ، وشرح على مبارك الجهود التى بذلها حين تولى ادارة مصلحة السكك الحديدية فى انشاء المحطات والنهوض بمستوى الخدمة فى هذه المصلحة ، ثم تكلم عن عدد الخطوط الحديدية ومحطات الوجه البحرى والوجه القبلى والوقت الذى يستغرقه المسافر من محطة الى أخرى • واختتم هذا البحث بالكلام عن طول الأسلاك البرقية الممتدة فى مصر وفى السودان حتى سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ – ١٨٧٥) مقدرة بالأميال الانجليزية • وقرر حقيقة هامة هى أن مصر فاقت فى استخدام البرق كثيرا من الدول الأوربية مثل السويد وبلجيكا والدانمرك وهولندا والبرتغال • وأورد احصائية عن جملة أسلاك البرق فى كل من مصر والسودان عدا خطوط البرق الخاصة بشركة قناة السويس وشركة مالطة •

★★★

وابتداء من الجزء الثامن حتى الجزء السابع عشر استعرض على مبارك البلاد المصرية فيما خلا القاهرة

والاسكندرية • وقد التزم بالترتيب الأبجدى فى ذكر أسماء البلاد • ومن البحوث الهامة التى وردت فى الجزء الثامن البحث الذى وضعه عن انتشار ظاهرة اجتماعية فى مصر هى شرب القهوة وما أثاره رجال الدين من ضجة تحريمها أو اباحة شربها • وكان قد شاع استخدامها بادىء ذى بدىء فى أوساط المتصوفة لتساعدهم على السهر فى حلقات الذكر • وقد جلب البن الى مصر متصوفو اليمن ، واستطرد المؤلف الى الكلام عن نبات البن فى اليمن والحبشة وأشار الى بلدة الجبرت فى الحبشة وهى الوطن الأصلى لأسرة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المشهور فترجم لوالده الشيخ الجبرتى • وتكلم عن القرار الذى أصدره الجنرال بونابرت بتحريم تعاطى الحشيش وشرب البوزة ومعاقبة من يخالف هذا القرار من المصريين بالحبس ثلاثة أشهر ، كما نص فى القرار على حرق طرود الحشيش التى ترد الى الجمارك المصرية • ولما جاء ذكر قرية انبابة ــ فى شمال الجيزة على الشاطىء الغربى للنيل تجاه بولاق ــ شرح الموقعة المشهورة التى جرت بين مراد بك والجنرال بونابرت وهى التى يسميها الفرنسيون معركة الأهرام (٢١ يوليو ١٧٩٨) تمجيدا لانتصارهم فيها ، وقد أفاض على مبارك فى شرح الأيام العصيبة التى شهدتها القاهرة والتى سبقت ولحقت هذه المعركة وقد استقى مادتها العلمية من الجبرتى • وتعرض لوصف مقياس النيل الذى كان موجودا فى أسوان وشرح معنى لفظتى اغريقى والليتى ــ اللاتينى ــ ووصف خشب الدوم

ومزاياه • وشرح فى هذا الجزء أيضا شرحا وافيا منطقة آثار أبى سنبل ويكتبها (ابسنول) ومعابد ادفو وأرمنت والأشمونين • ومن المدن الهامة التى أرخ لها فى هذا الجزء أبو تيج واخميم وأبو كبير وأُرمنت والاسماعيلية واسـنا وأسوان وأشمون والأشـمونين • من الشخصيات التى ظهرت لها تراجم فى هذا الجزء ذو النون المصرى وابن جبير وابن زولاق وابن سـينا وعبد الرحمن الناصر والشيخ محمد الخرشى وعلى الأجهورى والشيخ محمـد عليش والشيخ محمد الانبابى والشيخ محمد أحمد فرغل والشيخ عبد الرحمن البوتيجى والشيخ محمـد السميعى وهؤلاء الثلاثة من أعلام أبى تيج • ومن الشخصيات الأجنبيـة سترابون اليونانى الجغرافى وفيزاغورس العالم اليونانى وبلوتارك العـالم الفيلسوف • وقد تضـمن هذا الجزء البلاد التى تبدأ أسماؤها بحرف أ •

★★★

وفى الجزء التاسـع بحث ضاف عن قافلة الحج المصرية ونظام خروجها من القاهرة واقامتها خمسة أيام فى بركة الحج — وهى قرية فى شمال شرق القاهرة تقع فى جنوبى الخانكة وشرقى المرج — ثم استئناف سيرها الى الحجاز • ويستعرض المؤلف المحطات التى تقف عندها القافلة حتى تصل الى الأراضى المقدسـة بالحجاز ، والاجراءات التى تتبع فى اقامتها وفى ظعنها وتدابير الأمن للمحافظة على الحجاج والأموال ، ويشرح كيفيـة عمـل

الكسوة الشريفة التي تأخذها البعثة الرسمية معها وتنظيم موكب المحمل وما الى ذلك من تفصيلات وافية ودقيقة .
وقد جاء كل هذا الاستطراد عندما تكلم عن بركة الحج التي أشرنا إلى موقعها ، ولما تكلم عن بنى مزار وصف مصنع السكر فى هذه المدينة وانتاجه من السكر الأبيض والسكر الأحمر ومدة تشغيل هذا المصنع ليلا ونهارا أربعة أشهر ابتداء من مدة عصر عيدان قصب السكر ، وتكلم أيضا عن المبانى الملحقة بهذا المصنع مثل المستودعات المخصصة لحفظ السكر ومساكن المهندسين الأجانب ووابور النور الذى يمد المصنع بالانارة وبالقوى المحركة لادارة آلاته ، والخطوط الحديدية الممتدة الى داخل المصنع والى أراضى تفتيش زراعة القصب فى بنى مزار . كما يحوى هذا الجزء وصفا للأعياد التى كان يحتفل بها المصريون فى العصور القديمة وقد نقلها عن هيرودوت .
وشرح المؤلف بعض المصطلحات التى ورد ذكرها فى المصادر والمراجع التى تناولت تاريخ مصر الاسلامية ، ومن هذه المصطلحات نذكر على سبيل المثال : البقط ، البازدار ، مفردى ، مفارده ، متفردون ، مفردون ، الديوان المفرد ، الزمامى ، الزماميون ، ديوان الأزمة ، صاحب ديوان الزمام ، زمام دار ، خوندة ، خوندات خاتون ، خواتين .
كما شرح بعض مصطلحات فنية فى دراسة فلاحة الأرض نذكر منها : المرجع ، الدهيبة ، البراش ، الزداد ، التلوين . ومن المدن التى أرخ لها فى هذا الجزء ، الباجور ، باقور ، بانوب ، ببا والبتانون ، ويكتبها

البتنون ، البدارى ، بدرشين ، بردين ، بسيون ، بلبيس ، بلقاس ، بلينا ، بنها ، بنى سويف ، بنى عدى ، بنى مزار ، بهتيم ، بهجورة • وفى هذا الجزء ترجم على مبارك لنفسه ترجمة مستفيضة تناولت حياته الخاصة والعامة • كما ترجم لتقى الدين أحمد بن على المقريزى واستمد مادته العلمية عنه من كتاب أبى المحاسن التميمى المسمى بالمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى • وترجم أيضا للشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الجامع الأزهر والشيخ أحمد الدردير من علماء الأزهر وإبراهيم المتبولى وعلى الخواص من كبار المتصوفة ••• ومن الشخصيات الأجنبية التى ترجم لها : شامبليون ويكتب على مبارك اسمه بالطريقة التركية جانبوليون ، وهو عالم الآثار المصرية القديمة الفرنسى الذى عكف على فك رموز اللغة الهيروغليفية فى القرن التاسع عشر ، كما ترجم لبعض الفلاسفة والعلماء اليونانيين وغيرهم من القرن الثالث والخامس والسادس للميلاد نذكر منهم اجاتمبر ، اتيين البيزنطى ، أولنبيودور ، بروكوب • وترجم أيضا لأحد العلماء الفرنسيين الذين اشتغلوا بالعلوم الطبيعية والنباتية وهو ريمور • ولم يغط هذا الجزء جميع البلاد التى تبدأ أسماؤها بحرف الباء فوقف عند بهوت وهى قرية تتبع مركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية حاليا وترجم لثلاثة من علمائها عاشوا ابان الحكم العثمانى •



وحفل الجزء العاشر بعدة أبحاث تتصل ببعض

البلاد المصرية ذات الشهرة التاريخية ، مثل بوصير والبوطة وأبو قير ـ ويكتبها بوقير ـ وتروجه وتنيس وحلوان • فلما جاء ذكر بوصير تكلم عن مقتل مروان ابن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية وحاول تحديد المكان الذى لقى فيه هذا الخليفة مصرعه وهل هو بوصير الجيزة أو بوصير الفيوم ؟ واستعرض كتابات المقريزى وابن حوقل وأبى المحاسن وأبى الفداء وابن خلكان فى هذا الصدد • ولما تعرض للبوطة وهى قرية فى محافظة البحيرة كانت مسكنا لشيخ عرب البحيرة حسن بن برعى وأخيه شكر تعرض لقتلهما على يد المماليك الشراكسة الذين قطعوا رأسيهما وشربوا من دمهما وجزل بعضهم من لحمهما بالسيف وأفاض فى وصف نهايتهما جزاء خيانتهما للسلطان طومانباى • وعند أبى قير تكلم عن الخليج الناصرى (١٥) الذى حفره الناصر محمد ابن قلاوون وكانت هذه الترعة تخرج من الرحمانية وتأخذ مسار خليج الاسكندرية القديم واستطرد الى العلاقات بين مصر والصليبيين فى صيدا بالشام ، وبين مصر وجزيرة قبرص • وانتقل من التاريخ الوسيط الى التاريخ الحديث فتكلم عن موقعتى أبى قير البحرية (أول أغسطس ١٧٩٨) وأبى قير البرية (٢٥ من يوليو ١٧٩٩) ونشر بعض منشورات بونابرت للشعب المصرى وناقش موضوع قطع سد أبى قير كاجراء حربى لجأ اليه الانجليز فى محاربة الفرنسيين • ولما تكلم عن تروجه ـ وهى مدينة قديمة

---

(١٥) كانت الترع تسمى فى ذلك الوقت خلجانا •

فى جنوب غرب دمنهور ــ استعرض تاريخها منذ سنة ١١٧ هـ واستند الى ما كتبه عنها المقريزى فى خططه والنويرى فى نهاية الأرب وكاترمير نقلا عن المقريزى فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك • وتعرض للمفاوضات التى جرت فى هذه البلدة سنة ٣٥٨ هـ بين جوهر الصقلى قائد الجيش الفاطمى أثناء زحفه من الاسكندرية الى الجيزة وبين وفد يرأسه أبو جعفر مسلم وأسفرت عن عقد الصلح، وانتقل الى الكلام عن اقامة الظاهر بيبرس فيها ومقتل السلطان الأشرف خليل فيها سنة ٦٣٩ هـ • ولما وصل المؤلف فى ذكر المدن الى تنيس كتب تاريخا ضافيا عنها تناول الدور الذى لعبته فى العصور القديمة وفى العصور الاسلامية على ضوء ما كتبه المقريزى والمسعودى وأبو السرى الطبيب وأبو الفداء وغيرهم • وقال ان الجنتين اللتين ورد ذكرهما فى القرآن الكريم « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا » (١٦) كانتا فى تنيس لأخوين من بيت الملك قليمون من نسل اتريب بن قبطين • وتكلم عن الشهرة العريضة التى أصابتها هذه المدينة فى صناعة الثياب وتكلم عن الحياة الاجتماعية بين سكانها • ووضع بحثا مستفيضا عن حلوان وقال انها كانت قرية مشهورة عامرة بالسكان منذ أكثر من ألف وثمانمائة وخمسين عاما خلت ثم أخنى عليها الدهر فغدت بلدا مهجورا حتى جددها وعمرها

---

(١٦) سورة الكهف آية رقم ٣٢ والآيات التالية لها مكملة لقصة الاخوين •

عبد العزيز بن مروان الذى ولى حكم مصر وأعجب بهوائها فنزل بها سنة ٧٠ هـ ليكون بمنجاة من الطاعون الذى اتخذ مظهر الوباء في تلك السنة ، وشيد بهـا المساجد والدور وغرس النخيل والكروم • وتابع المؤلف تاريـخ حلوان عبر العصور فتكلم عن زيارة المأمون الخليفة العباسى لها سنة ٢١٧ هـ وذكر طرفا من زيارة هذا الخليفة لمصر ، وتعرض لخواص الميـاه الكبريتيـة التي تنبثق من عين حلوان وأهميتها فى علاج الأمراض الجلدية ، وشرح مظاهر الاهتمام بتعمير حلوان منذ النصف الثانى مـن القـرن التاسع عشر من انشاء خط حديدى يربطها بالقـاهرة • ولم يكن هذا الخط يبـدأ من محطة باب اللوق كما هو الحال الآن ، بل كان يبدأ من قره ميدان بالقلعة ثم يمر على مقابـر المماليك وشرقى ضريح الامام الشـافعى الى البساتين ويأخذ مساره الحالى • كمـا تكلم عن انشـاء حمامات للمياه الكبريتية بها وشق شـوارع متسـعة ومستقيمة من النيل الى الحمامات وبناء فنـدق سياحى وفندق آخر للعلاج وذكر التسعيرة التى وضعت للنازلين فيه بمختلف الدرجات ، وعما اذا كانت الاقامة تشـمل تناول الطعام أو مقصورة على المبيت • وتكلم عن التيسيرات التي قدمتها الحكومة لتشجيع الأهالى على بناء دور لهم فى حلوان ، واستعرض النشـاط الاقتصادى فيها وازدياد حركة البناء والتعمير خلال السنوات من ١٨٨٢ الى ١٨٨٧ ومن الوقائع التاريخية التى تعـرض لها فى هذا الجزء الهدية التى أرسلها المقوقس ، ويصـفه على مبارك بأنه

صاحب الاسكندرية ، الى النبى عليه الصلاة والسلام ، وكان من ضمنها مارية وأختها سيرين ، ومارية هى التى ولدت للنبى ابنه ابراهيم وخلص من ذلك الى القول بأن ثلاثة من الأنبياء صاهروا الأقباط هم ابراهيم الخليل تسرى بهاجر أم اسماعيل ، ويوسف تزوج بابنة صاحب عين شمس التى ذكرها الله فى كتابه فقال « وغلقت الأبواب وقالت هيت لك » (١٧) ومحمد عليه الصلاة والسلام تسرى بمارية • وتكلم عن الحياة المترفة الرتيبة التى كان يحياها المتصوفة فى خانقاه سرياقوس والتى أنشأها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣)م وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفى ولقب شيخها بلقب شيخ الشيوخ بعد أن كان هذا اللقب مقصورا على من يتولى مشيخة خانقاه سعيد السعداء ، كما أفاض المؤلف فى تحديد الأقاليم فى مصر التى نزلت بها القبائل العربية بعد الفتح الاسلامى وذكر دخول معاوية بن أبى سفيان مصر وولاية محمد بن أبى بكر الصديق عليها وقتله بها • وتكلم عن نظام الخلع فى دولة المماليك وأفاض فى وصف خلع أرباب السيوف وخلع أرباب الأقلام وخلع العلماء • ووضع بحثا عن نظام النيابة فى دولتى المماليك وشرح وظيفة النائب الذى كان يقوم مقام السلطان وكان صاحب هذه الوظيفة يسمى ملك الأمراء ونائب الحضره وكافل الممالك ، وتكلم عن اختصاصاته المتشعبة ووضعه فى

---

(١٧) سورة يوسف جزء من الآية رقم ٢٣ •

الدولة وفى الاحتفالات الرسمية وفى المراكب ، ووصف دار النيابة التى بناها الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٣ هـ. وانتقل المؤلف من النيابة الى الوزارة فتكلم عنها على غرار ما فعل فى كلامه عن النيابة . وتكلم عن التجربة التى قامت بها الحكومة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر لزراعة أشجار التوت لتربية دود القز ، وذكر أن الحكومه حفرت أكثر من ألف ساقية واستدعت خبراء من الآستانة لتدريب المصريين ، كما زرعت أيضا فى نفس المنطقة وهى رأس الوادى بمديرية الشرقية أشجار الزيتون لاستخراج الزيت واستخدامه فى صناعة الصابون . وفى هذا الجزء شرح المؤلف بعض المصطلحات التاريخية نذكر منها على سبيل المثال : بغلطاق ، بغلوطاق ، بغالطيق ، صولق ، صوالق ، الحياصة ، حوائص ، شيوب ، زراقة ، قراسنقر ، آق سنقر ، شنتور ، شنتار ، طبلخانة ، أمراء الطبلخانة ، شاد الشرابخاناه ، شاد الدواوين ، شاد العمائر ، شاد الخاص ، شاد الزردخانة ، شاد الحوش ، شادية ، أمير أخور ، جشار ، تشاهير ، مروات ، الخانقاه . ومن المدن التى أرخ لها فى هذا الجزء ، عدا التى ذكرناها ، أبو فرقاص ويكتبها بوقرقاص ، وبولاق الدكرور ، ويكتبها بولاق التكرور ، بورسعيد ، تلا ، جرجا ، الجيزة . وترجم فى هذا الجزء لعدد كبير من الشخصيات نذكر منها الشيخ البوصيرى صاحب البردة وابن خلكان والشيخ على البيومى من المتصوفة وابن السالوس وزير الأشرف خليل والشيخ حسن

الجداوى من علماء الأزهر وهو لا ينسب الى ميناء جـــدة بالحجـاز بل ينسب الى الجدية وهى قرية بمحافظــــة البحيرة ، على الشاطىء الغربى لفرع رشيد وجنوبى مدينة رشيد ، وترجم لبعض الصوفية الذين عاشوا أو دفنوا فى خانقاه سرياقوس ، وترجم أيضا للأمير عيسى شيخ عرب بنى عونة ولشيخ العـرب سـويلم بن جيب بالقليوبية وأبنيه سالم وســويلم • كما ترجـم لبعض المستشرقين الفرنسيين مثل كاترمير (١٧٨٢ ــ ١٨٥٧) وســـاسى (١٧٥٨ ــ ١٨٣٨) وهربلوبرتلمى (١٦٢٥ ــ ١٦٩٥) • وقد غطى على مبارك فى هذا الجزء بقية البلاد التى تبدأ أسماؤها بحرف الباء ثم أحرف التاء والجيم والحاء والخاء والدال •

★★★

وحفل الجزء الحادى عشر بذكر عدد من أمهات المدن ذات الشهرة التاريخية فتكلم عن دمنهور وتـاريخها فى العصور القديمة والحديثة وتعرض بوجه خاص لأحداث الحملة الفرنسية المتصـلة بدمنهور والفترة التى أعقبت خروج الفرنسيين من مصر والحرب بين محمد على ومحمد الألفى والأزمة التى واجهها محمد على حين صدر مرسوم من السلطان بنقله من مصر الى سالونيك ومؤازرة علماء مصر لمحمد على ابان هذه الأزمة واستعرض تاريخ مدينة دمياط الحافل ابـان الحروب الصليبية وأفاض فى شرح أحداث الفترة الحرجة التى تولت فيها شجرة الدر مقاليد الأمور

عقب وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب ريثما يحضر توران شاه ابن الملك المتوفى وكانت حملة لويس التاسع قد نجحت فى الاستيلاء على دمياط والوصول الى المنصورة تجاه البحر الصغير • ومما هو جدير بالذكر أن على مبارك يسمى قائد الحملة روا دفرنس أى ملك فرنسا وهى نفس التسمية التى أطلقها من قبل المقريزى فى خططه(١٨) وانتقل الى تاريخ دمياط ابان الحملة الفرنسية ثم فى فترة الصراع على الحكم فى مصر بين محمد باشا خسرو الوالى العثمانى وبين عثمان بك البرديسى ، وتكلم عن مساجدها ومدارسها ووصف سمكة تظهر فى مياه دمياط يطلق عليها فرس البحر وذكر منافعها • وسار على نفس النهج عند كلامه على رشيد وأفاض فى وصف المدينة والحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية لسكانها واخذ يعدد أنواع المحصولات التى تشتهر بها وذكر أنواع البلح وأصناف الأرز واستعرض تاريخ رشيد فى العصور الوسطى ثم فى القرن التاسع عشر وأطال فى الكلام على الحملة البريطانية على مصر سنة ١٨٠٧ وانتصار المصريين على البريطانيين فى معركتى رشيد والحماد • ولما جاء ذكر بلدة دندرة وصف معبدها وتاريخ انشائه وانتقل منه الى قصة ايزيس وأوزوريس وهاتور • ومن المصطلحات التاريخية التى شرحها المؤلف فى هذا الجزء : خشداش ،

---

(١٨) المقريزى : الخطط • طبعة الشياح ـ لبنان ـ ثلاث مجلدات المجلد الأول الجزء الثانى صص ٣٩٠ـ٣٩٢ •

خشداشية ، طواشى ، الغرارة ، الحواء ، البرك · ومن المدن التى أرخ لها فى هذا الجزء - عدا التى ذكرناها - دراو ، الدر ، ديروط ، دشسنا ، دكرنس ، الزقازيق ، زفتى · وقد ترجم لابراهيم الدسوقى والوزير الصاحب ولعدد وافر من علماء دمياط ودمنهور ورشيد كما ترجم للسائح الفرنسى سافارى ويسميه « سوارى السياح الفرنساوى » وقد زار مصر فى القرن الثامن عشر ، كما ترجم لسائح فرنسى آخر هو الأب سيكار ويصفه بأنه « سياح فرنساوى قسيس من طائفة الجزويت » وترجم أيضا لعلى باشا الجزائرلى أو الطرابلسى أو على برغل وهو الوالى العثمانى الذى لقى حتفه فى مطلع سنة ١٨٠٤ فى القرين بصحراء الشرقية على يد الأمراء المماليك ، كما ترجم لبعض أعضاء البعثات العلمية الذين أوفدتهم الحكومة المصرية الى أوربا فى القرن التاسع عشر · ويغلب على هذا الجزء - الحادى عشر - فى مجموعة طابع التراجم · وذكر الزوايا المنتشرة فى أنحاء البلاد المصرية · وقد تضمن هذا الجزء ذكر البلاد التى تبدأ أسماؤها بحروف الدال والذال والراء المهملة والزاى المعجمة ·

★★★

وجاء الجزء الثانى عشر على غرار الأجزاء السابقة حافلا بالبحوث فى شتى الموضوعات فخاض بحثا ضافيا عن الرزق الاحباسية ونشأتها وتطورها فى مصر الاسلامية، وأورد نصا حرفيا لعهد أخذ على نصارى العرب من أهل

نجران في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعدة عهود أخرى أخذها عمر بن الخطاب على نصارى الشام . وتكلم عن وضع الكنائس في ظل الاسلام مستشهدا بأحاديث نبوية وأقوال منسوبة الى عمر ابن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وما وراه الحسن البصري ، ثم تكلم عن الجزية المقررة على الذميين وفئاتها وجواز رفع نسب هذه الفئات على ذوى الدخول الكبيرة . واستعرض حوادث الزلازل العنيفة التي تعرضت لها القاهرة في القرنين السابع والثامن الهجريين، ووصف خروج السلطان أيام دولة المماليك الى الصيد في سرياقوس أو شبرا ، ووصف ركوب السلطان من القلعة في الأعياد . وتكلم عن تحنيط الجثث عند قدماء المصريين وأطلق على هذه العملية تصبير الموتى . وشرح عاداتهم في الجنازات وتكلم عن قصر أنس الوجود . وفي هذا الجزء شرح كيفية عمل السمك المقدد المعروف في الصعيد باسم الملوحة . وأرجع سبب انتشاره الى أن سكان البلاد التي يكثر فيها قصب السكر يستطيبون أكل السمك المقدد ، وذكر أسماء الأراضي الزراعية في مصر تبعا لنوعها وجودة الزراعة بها وسهولة ريها وما الى ذلك ، وهي أسماء تبدو غريبة بالنسبة للقارىء غير المتخصص في الشئون الزراعية ، وحسبنا أن نذكر هنا من هذه الأنواع على سبيل المثال : البروبية . البشماهة ، الشتونية ، شق الشمس ، نقاء ، وسخ مزدرع ، وسخ غالب ، مستبحر ، خرس ، الى غير ذلك من الأسماء . والمهم أنه يعطي مواصفات لكل نوع من هذه الأراضي وأنواع الزراعات التي تجود فيها وكيفية

ريها الى غير ذلك من تفصيلات فنية . واستعرض أنواع الخضر وفوائدها ، وانتقل الى الكلام عن بعض أنواع النباتات التى تزرع فى مصر وتستخدم فى علاج بعض الأمراض والحميات مثل النزلات المعوية والشعبية والمغص وآلام الظهر والمفاصل والربو وأمراض القلب والجرب ، وتكلم عن النباتات التى يؤدى تعاطيها الى زيادة افراز الكبد ، وذكر منافع شجر الحناء ووصف تركيبا من زهرة الحناء تضاف اليها مواد أخرى لتفتيت الحصى فى الكليتين ، وعلاج الطحال وادرار البول . وتكلم عن منافع الكزبرة وشرح أنواع المشروبات التى تصنع من البلح أو الذرة أو الزنجبيل وكيفية اعدادها للشرب ثم تكلم عن شراب البوزة والدكاوى وغيرهما من المشروبات . ومن أهم المدن التى تعرض لها على مبارك فى هذا الجزء مدينة السويس وقد شرح معالمها، فتكلم عن شوارعها وأسواقها ومساجدها وزواياها ووكائلها والشركات القائمة بها والنشاط التجارى والاقتصادى بها وحركة الملاحة فى مينائها وبيان البضائع الأجنبية الواردة اليها بحرا وحوض اصلاح السفن والمنائر وما الى ذلك من منشآت بحرية فى ميناء السويس . وتكلم عن تاريخ المدينة على عهد الحملة الفرنسية وقدوم الجنرال بونابرت اليها ، وهو يطلق عليه بونابرتو ، وانتقل الى النشاط الذى دب فى المدينة وفى مينائها ابان الحروب الوهابية وابحار الحملات العسكرية التى قامت تباعا من ميناء السويس الى ينبع وجدة وتكلم

عن المذهب الوهابى والحركة التى قادها محمد ابن عبد الوهاب . وانتقل الى تنظيم الطريق البرى over land Route من القاهرة الى السويس عبر الصحراء على عهد محمد على ، وتحسين الخدمة فى هذا الطريق على عهد عباس الأول ثم مد الخط الحديدى من العاصمة الى السويس وتكلم أيضا عن المنطقة المحيطة بمدينة السويس وأشار الى منطقة عيون موسى وغيرها . ومن المدن الأخرى التى ورد ذكرها فى هذا الجزء أسيوط ، سمنود ، سمالوط ، السنبلاوين ، سوهاج ، شبراخيت ، شربين ، الشهداء ، شبين الكوم ، شبين القناطر وتكلم عن واحة سيوة وعادات أهلها . وذكر ثلاثة وأربعين بلدا يبدأ كل منها بكلمة شبرا مثل شبراخيت وشبرا الخيمة وشبرا النملة . ويتميز هذا الجزء من الخطط التوفيقية بأنه يحوى شرحا لعدد وفير من المصطلحات التى شاع استعمالها فى مصر فى عصر دولتى المماليك والحكم العثمانى وبخاصة فى الجيش والادارة وأنظمة الحكم والألعاب والصناعات اليدوية الدقيقة ونذكر منها على سبيل المثال : الكراتة ، شبابه ، طبردارية ، النمشة ، الخاصكى ، الجمقدار ، الكفت ، الأكفات ، التزميك ، الشربوش ، الهناب ، حامل المزرة ، اليسق كتاب الدرج ، كتاب الاست ، الطشتخاناه ، الركابخانة . الحوائجخانة وتضمن هذا الجزء أيضا تراجم لشخصيات كثيرة حسبنا أن نذكر منها هنا : الجاحظ وابن الأثير ومعروف الكرخى وشمس الدين السخاوى المؤرخ وجلال الدين السيوطى والعارف السوهاجى

وزكريا الأنصارى وأبو بكر المادرانى أحـــد كبار رجال الدولة الطولونيـــة ، وقد حبس على الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة وأوقافا وضياعا كان من بينها أسيوط ، وكان يصـــل ايراد هذه الأوقـاف الى مائة ألف دينـار فى السـنة • كمـا ترجم لنابليون بونابرت ترجمـة ضافية منذ مولده حتى وفاته فى منفاه ثم احضار « رمته » أى جثته الى فرنسا لدفنها فى باريس على عهد الملك لوى فيليب وترجم أيضـا لعالم فرنسى هو لارشيه Larcher (١٧٢٦ ـ ١٨١٢) الذى ترجـم كتاب هيرودوت وعلق عليه ، كما ترجم للمؤرخ مانيتون • وقد تناول هذا الجزء البـلاد التى تبدأ أسماؤهـا بحرف السين وحرف الشين المعجمة •

★★★

واحتوى الجزء الثـالث عشر موضوعـات شتى فى التاريخ القديم والوسيط والحديث فمن موضوعات التاريخ القديم تعرضـــه لمدينتى صـا الحجر وصان الحجر فقد استعرض تاريخهما فى العصور القديمة • كما تكلم عن مدينة طيبـة أو بيلوز Pélure وهى فى موقـع بورسعيد الحالية والدور الذى لعبته هذه المدينة فى التاريخ القديم • على أنه أهم ما جاء فى هذا الجزء خاصا بالتاريـخ القديم كان بلا شك مدينة طيبة ـ الأقصر الحـالية ـ ويسميها المؤلف طيـوه ، فقد أفاض فى شرح آثارها سواء معبد الكرنك أو آثار البر الغربى مثل مدينة هابو ـ ويسميها

آبو ـ والرمسيوم والقرنة وسائر الآثار التى حفل بها وادى الملوك • أما الموضوعات التى تعرض لها فى التاريخ الوسيط فكان نظام البريد فى الدولة الاسلامية عامة وفى مصر خاصة ، وتولى شجرة الدر حكم مصر • وشرح الموجات البشرية من التتار الذين زحفوا على الشرق العربى وسقوط بغداد فى أيديهم وانتقل الى الكلام عن مدينة بغداد وتاريخها ، وتكلم عن الهدايا التى كان يتبادلها حكام البلاد الافريقية فيما بينهم ، ووصف صحراء عيذاب والطريق الذى يمر عبر الصحراء من قفط الى ميناء عيذاب الواقع على البحر الأحمر وأسماء المحطات الواقعة على هذا الطريق• وتكلم عن معدن الزمرد ومواطن استخراجه فى الصعيد الأعلى ابتداء من قفط بمديرية قنا حتى أسوان وشرح خواص هذا المعدن واختلاف لونه حسب فصول السنة وحالة الطقس ، وقال انه يزداد توهجا فى ضوء القمر حتى يكتمل بدرا • ثم انتقل الى الزبرجد وأنواعه وخواصه • ومن المصطلحات التى شرحها فى هذا الجزء : الشاليس ، البيزكية ، الكراع ، استادار ، الاقامات بمعنى الميرة • ومن المدن التى جاء ذكرها فى هذا الجزء طنطا ، طنتدا ، طما ، طوخ • وترجم لعدة شخصيات منها السيد أحمد البدوى ورفاعة رافع الطهطاوى وعبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر فى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر • وقد شمل هذا الجزء البلاد التى تبدأ أسماؤها بأحرف الصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المهملة والظاء المعجمة •

وحفل الجزء الرابع عشر بعدة بحوث ووثائق تاريخية فتكلم ، وهو يذكر أسماء البلاد المصرية ، عن عجرود • وكانت احدى محطات قافلة الحج المصرية ، وهى على بعد عشرين كيلو مترا غرب مدينة السويس ، وتقع حاليا على الخط الحديدى الصحراوى الذى يصل بين القاهرة والسويس وتقف عندها القطارات الحديدية التى تسير على هذا الخط • وكأن هذه المحطة كانت نقطة انطلاق فكرى لعلى مبارك فأخذ يذكر معلومات ضافية وطريفة عن الطريق التى كانت تسلكها قافلة الحج مارة بعجرود والمدن والدروب والمسالك والمغارات وآبار الماء والخانات والدور الواقعة على طريق الحج فى كل من مصر وشبه الجزيرة العربية حتى المدينة المنورة ومكة المكرمة ، ويصف مهام أمير الحج والترتيب الذى يوضع للحجاج فى ظعنهم واقامتهم والأخطار التى يتعرضون لها فى الطريق من هجوم العربان عليهم وذكر أسماء القبائل والمناطق التى تسيطر عليها هذه القبائل • وتكلم عن وصول حجاج مصر والشام الى رابغ حيث يبدأ الاحرام • وانتقل الى عيذاب كميناء تقصده السفن القادمة من الهند واليمن ، وكمركز يباع فيه اللؤلؤ الذى يستخرج من الجزر القريبة من الميناء ، وكطريق يسلكه بعض الحجاج فى الوجه القبلى الى الحجاز • ويذكر معلومات طريفة للغاية عن منطقة عيذاب وعادات سكانها والمتاعب التى يلقاها الحجيج القادمون من قوص الى عيذاب فى طريقهم الى جدة وكيف كان يتحكم سكانها فيهم ويشحنون بهم المراكب ويطلقون عليها الجلاب (جمع

جلبة) فيجلس الحجاج وكأن السفن أقفاص مليئة بالدجاج حتى يستوفى صاحب الجلبة ثمنها من رحلة واحدة وهو لا يبالى بالأخطار التى تتعرض لها الجلبة وهى تجتاز البحر الأحمر • وانتهز المؤلف فرصة كلامه عن عيذاب فربط بين هذا الميناء وبين رحلة ابن بطوطة من ادفو الى عيذاب وكيف تعذر عليه مواصلة رحلته الى جدة فعاد من عيذاب الى قوص ومنها صعد فى النيل الى القاهرة ثم واصل سفره الى الشام مارا ببلبيس والصالحية والعريش ورفح ، وتكلم عن القدس ومدن الرملة وطبرية وبيروت ودمشق وقبور الأنبياء الصالحين فى بعض هذه المدن الشامية مثل قبور ابراهيم واسحق ويعقوب وزوجاتهم ويونس وصالح وشعيب وسليمان وخالد بن الوليد وأبى عبيده الجراح وعمر بن عبد العزيز وبلال مؤذن الرسول عليه السلام ، ثم انتقل الى العراق فذكر أن قبر على فى مدينة مشهد على من بلاد العراق ، وأن أهل هذه المدينة كلهم رافضة أى شيعة ويحكمها نقيب الأشراف دون سواه ووصف المقبرة • ثم تكلم عن قرية أم عبيدة فى العراق حيث دفن بها أحمد الرفاعى ، وانتقل الى مسجد على بن أبى طالب فى مدينة البصرة ومشهد الامام الحسين بمدينة كربلاء ، وقبرى الامام أبى حنيفة والامام أحمد بن حنبل فى بغداد• وتضمن هذا الجزء أيضا بحثا عن العلاقات التجارية والسياسية والحربية فى العصور الوسطى بين مصر وبين بعض الدول الأوربية مثل فرنسا والبندقية وجنوه وفلورنسه وغيرها من دول وامارات حوض البحر لمتوسط • وتكلم فى موضوع

تعيين قناصل لبعض هذه الدول فى مصر منذ أيام الدولة الأيوبية ودولتى المماليك البحرية والبرجية وتتبع نشاطهم ومقار عملهم ومدى نجاحهم أو فشلهم فى رعاية مصالح بلادهم ، ثم انتقل الى موضوع المحاولات التى بذلت لايصال البحرين المتوسط والأحمر قبل شق قناة السويس . كما تضمن هذا الجزء بحثا عن ترعة الفرعونية شرح فيه الأخطار التى كانت تتعرض لها أراضى الوجه البحرى من مياه هذه الترعة وما كان يتهددها من الغرق ، وتابع الجهود التى بذلتها السلطات الحكومية للمحافظة على جسور هذه الترعة منذ أواخر عصر المماليك فى سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢) وابان الاحتلال الفرنسى وأوائل حكم محمد على حتى سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١) م . وانتقل الى مذبحة المماليك بالقلعة ويسميها على مبارك « وقعة المماليك بقلعة الجبل بمصر » ويعلق بقوله « وكان موتهم رحمة للعباد وعمارة للبلاد وأمنت بعدهم السبل برا وبحرا » . ومن الأبحاث التى تضمنها هذا الجزء تدابير الحكومة المصرية فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى للحد من استهلاك الأقمشة المستوردة من جمهورية البندقية ، اذ كانت سيدات مصر يغالين فى تفصيل ملابسهن منها ، وكانت مودة ذلك الوقت تفصيل ملابس فضفاضة واسعة للغاية الأمر الذى أدى الى استهلاك كميات كبيرة من الأقمشة الأوربية الفاخرة ، فحصل «التنبيه» فى الشوارع بالكف عن ذلك ، وفى أكتوبر ١٣٩٠ نزل رجال الحكومة

الى أسواق القاهرة وشوارعها وقطعوا أكمام الملابس الواسعة التى كان النساء يرتدينها • وانتقل المؤلف الى يحث فى التاريخ القديم عن منطقة العرابة المدفونة ويسميها « العربات المدفونة » فى أبيدوس على مقربة من البلينا بمحافظة سوهاج ، فشرح آثار هذه المنطقة وأسماء الشمس المقدسة عند قدماء المصريين وغيرهم من شعوب الشرق القديم • ومن الوثائق التى نشرها على مبارك فى هذا الجزء نذكر ثلاثا : هدنة عقدت بين حكومة جنوة ودولة المماليك البحرية على عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ، ووثيقة ثانية تاريخها ٤٢٢ هـ باسم « دستور يتضمن العامر من أرض الفيوم » « تشمل بيانا عن شبكة الترع التى كانت منتشرة فى اقليم الفيوم وقتئذاك • أما الوثيقة الثالثة فمنشور أذاعه غازان ملك التتار على سكان مدينة دمشق بعد معركة مجمع المروج سنة ١٢٩٨ أعلن فيه لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وندد بسياسة دولة المماليك ، وكان سلطانها وقتئذاك هو الناصر محمد بن قلاوون • وشرح على مبارك على عادته بعضا من المصطلحات التى كانت ذائعة فى العصور الاسلامية ونذكر منها على سبيل المثال : الجراوة، البندب ، التنبول ، الطرائد ، الشوانى ، الحراقات ، بطس ، العشاريات ، بيكار ، بياكير • ومن المدن أو البلاد التى كتب عن تاريخها فى هذا الجزء : العريش ، العسيرات، العطف ، فارسكور ، فاقوس ، فرشوط ، الفرما ، الفشن، الشيخ فضل ، فوه ، الفيوم ، القصير ، قفط ، القلزم ،

قليوب ، قنا ، قوص ، القوصية ، قويسنا • وفى هذا الجزء تراجم لشخصيات عديدة نذكر منها : ابن خلدون وابن بطوطة وعبد الوهاب الشعرانى امام المتصوفة فى مصر فى القرن العاشر الهجرى وبعض أفراد أسرته والامام الليث بن سعد وابنه الامام شعيب والبهاء زهير والشيخ حسن العدوى وأبو الحسن الشاذلى والكندى وعبد الرحيم القنائى والشيخ سليمان الفيومى • وترجم أيضا لعدد وافر من علماء فرشوط والفيوم وفارسكور وقنا غير ما سبق ذكرهم • وقد غطى هذا الجزء البلاد التى تبدأ أسماؤها بحروف العين المهملة ثم العين المعجمة والفاء والقاف •

★★★

• وواستهل على مبارك الجزء الخامس عشر بالكلام عن مدينة كانوب ، وتقع مكان ضاحية أبى قير الحالية ، واستعرض تاريخها زمن الفراعنة وفى العصرين البطلمى والرومانى ومعابدها وبخاصة معبد سيرابيس الذى كان يقصده المصريون طوال العام لا للتبرك والزيارة فحسب ، بل لما كانت تتخلل الحياة فى كانوب من مجون وفسق بسبب كثرة النساء العاهرات وأماكن المجون واللهو غير البرىء ، وخلص على مبارك من ذلك الى القول بأن كهنة معبد سيرابيس كانوا أغنى رجال الدين فى مصر قاطبة • ووقف المؤلف وقفة طويلة للغاية عند ذكر بلدة المطرية من ضواحى القاهرة وأثبت أن المطرية ليست عين شمس وانما هى على مقربة منها ، وتكلم عن مسلاتها العديدة التى

نقلت منها الى رومه ابان الحكم الرومانى ، ثم انتقل الى هياكلها قبل دخول المسيحية الى مصر وأخذ يستعرض تاريخها عبر العصور وتتبع رحلة السيدة مريم وابنها عيسى عليه السلام ومعهما يوسف النجار من بيت المقدس الى مصر وتجوالهم فى مختلف البلاد المصرية واقامتهم فى المطرية . وتكلم عن الأحداث التاريخية الهامة التى وقعت فى منطقة المطرية ابان الحكم الاسلامى حتى وصل الى معركة الريدانية التى لقى فيها السلطان طومانباى آخر سلاطين دولة المماليك الهزيمة على يد السلطان العثمانى سليم الأول ، وشرح الأيام العصيبة التى سبقت ولحقت هذه المعركة ، واقامة السلطان سليم فى مصر ثمانية أشهر ثم رحيله الى الآستانة والقرارات التى اتخذها عند رحيله، ونشر القصيدة المشهورة التى نظمها ابن اياس يرثى فيها حالة مصر بعد أن ضاع استقلالها وأضحت ولاية عثمانية واحتل أرضها جنود عثمانيون حليقو الذقون يضعون على رءوسهم الطراطير ، ووصفهم بأنهم ليسوا على حظ موفور من الشجاعة لأنهم يعتمدون فى الحرب على سلاح المدفعية، وسجل فى هذا القصيدة أعمال التخريب التى ارتكبها العثمانيون فى أحياء القاهرة ومساجدها وتكدس جثث الموتى فى الشوارع كأنها ذبائح عيد الأضحى . وانتقل على مبارك الى الكلام عن موقعة عين شمس بين الفرنسيين والعثمانيين وهزيمة الأخيرين (٢٠ مارس ١٨٠٠) وأفاض فى الكلام عن ثورة القاهرة الثانية وهى الثورة العارمة

التى قــام بها الشــعب ضد الفرنسيين واستطالت ثلاثة وثــلاثين يوما وذكر مراحــل هذه الثورة ودور الزعماء والشعب فيها وقد استمد من الجبرتى المادة التاريخية عنها كما نقل عنه عدة حوادث تمثل المقاومة الشعبية فى العصر العثمانى وأوائــل حكم محمد على ، وكان بعضها لعلمــاء الأزهر وقد وقفوا من الأمراء المماليك فى كل حادث وقفة تنم عن الاباء والعزة والكرامة . ونقل عن الجبرتى أيضا قصة وقعت فى ربيع آخر ١٢٣٥ (١٧ يناير ١٨٢٠ - ١٤ فبراير ١٨٢٠) وهى تشبه فى معظم عناصرها الى حد بعيد حادث دنشواى (١٩٠٦) مع اختلاف النتائج فى كل منها بطبيعة الحال (١٩) . وتكلم عن المحاولة التى قامت بها

(١٩) قدم رجل انجليزى من الاسكندرية الى قرية كفر حشاد بمديرية المنوفية ليصطاد بها الحمام وصوب بندقيته نحو حمامة فأصابت الطلقة أحد الفلاحين فى ساقه . ورأى أحد الالبانيين هذا الحادث ، وكان يمسك بيده مراوة غليظة فقال للانجليزى : الا تخشى بعض الفلاحين ويضربوك على راسك هكذا ؟ وأشار الى رأس الانجليزى ، اذ كان الألبانى لا يتكلم الانجليزية . فما كان من الانجليزى الا أن ضرب الألبانى برصاصة صرعتــه فى الحــال . فاجتمع الفلاحون وقبضوا على الانجليزى وسافروا به ومعهم القتيل الى القاهرة وقابلوا وكيل محمد على واجتمع الالبــانيون وأصروا على قتل الانجليزى ، وخشى الوكيل عاقبة هذا التصرف ، واقترح التريث حتى يستدعى القناصل ويعرض عليهم المسألة . ولكن استنكر الألبانيون تأخير قتل الانجليزى وتعليق قتله على راى القناصل ، وطالبوا بقتله فورا وتهددوا بنزولهم الى جى الافرنج ونهب المساكن وقتل جميع من بها من الأجانب فلم يسع الوكيل الا أن أمر بقتله فنزلوا به الى الرميلة وقطعوا رأسه .

الحكومة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر لاستيراد أنواع معينة من الأغنـام من أوربا وتربيتها فى مصر بغية اسـتغلال أصوافها وشرح بالتفصيل المراحـل التى مرت بها هذه العملية واجراءات الحكومة لتنظيمها • ومن الأبحاث التى جاءت فى هذا الجزء الحملة العسكرية التى أرسلها السلطان العثمانى الى مصر بقيادة حسن باشا الجزائرلى سنة ١٧٨٦ لكسر شوكة المماليـك واسترجاع نفوذ الدولة فى مصر ، ونشر صورة الفرمان الذى أرسله حسن باشا الى أولاد حبيب بناحية دجوة• ومن المصطلحات التى شرحها على مبارك فى هذا الجزء : الاخراق ، البرك ، المشـاعلية ، نيدة البوش ، النيدة المعقودة ، الخبيص ، شجر البلسان والبسام ، عازق ، بيورلضى ، بيورلضيات، وأنواع الأعلام الحربية مثل الشطفة ، والعصابة والصنجق• ومن المدن التى تكلم عنها كفر الزيـات ، كفر الشيخ ، اللاهون ، المحلة الكبرى ، محلة روح ، المراغا ، مرصفا ، مغـاغة ، ملوى ، مليج ، المنصورة ، منفلوط • وبالنسبة للمنصورة فقد أفاض فى الكلام عن النهضة الصناعية التى شهدتها هذه المدينة فى القرن التاسع عشر • أما منفلوط فقد أبرز معنى خاصا بها هو أنها كانت مسرحا لحوادث القتل والشغب التى كان يلجأ اليها الأمـراء المماليك فى أواخر القرن الثامن عشر تحديا لحكومة القاهرة واستخفافا بالباشا العثمانى • وقد ذكر فى هذا الجزء احدى عشرة قرية تتكون أسماؤها من كلمات مركبة تبدأ الكلمة الأولى :

فى كل منها باسم معصرة مثـل معصرة اطفـيح ومعصرة سمالوط ومعصرة عرفة وكلها عبارة عن قرى • كما ذكر اثنتين وثلاثين بلدة تبدأ أسماؤها المركبة بكلمة محلة مثل محلة روح ومحلة المرحوم • وحفل هذا الجزء بتراجم لعدد كبير من الشخصيات نذكر منها المسعودى المؤرخ العربى ، وابن الحباب وبن زولاق وعبد اللطيف البغدادى والشريف الراضى وعثمان بك البرديسى والشيخ محمد الدواخـلى نقيب الأشراف، والشيخ محمد الشنناوى من كبار المتصوفة، والشيخ صادومه وهو أزهرى فاسق ماجن ، وحمدان ابن الأشعب مؤسس فرقة القرامطة ، والشريف الرضى وأخيه المرتضى ، والشيخ محمد القاضى المعروف بابن فخر القضاة المنفلوطى • وترجم أيضا لطبيبين عربيين برعا فى الطب هما أبو بكر حامد بن سمجون وأبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله بن خرداذبة • • كما ترجم لعدد وافر من علماء كل من المحلة الكبرى ومرصفـا والمنصـورة والمنزلة • وتضمن هذا الجزء البلاد التى تبدأ أسماؤها بحرف الكاف ثم اللام ثم الميم •

★★★

واستهل على مبارك الجزء السادس عشر بالكلام عن مدينة منف فشرح موقعها الجغرافى وتاريخهـا ومعبدها ومقياس النيل الذى كان قائما فى منطقتها وتكلم عن عبادة أبيس عند قدماء المصريين وخاض بحثا ضافيا عن أهرام مصر وعددها وأسماء بناتها وتاريخ اقامتها والأدوات التى

استخدمت فى بنائها وكيف تم تشييدها والأغراض التى استهدفها الفراعنة منها ثم المحاولات التى قام بها فريق من الملوك والحكام الأقدمين لدخـــول هرم الجيزة الأكبر باحداث فجوة فيه ، وتعرض للثلمة التى فتحها المأمون الخليفة العباسى فى الهرم أثناء زيارته لمصر ومحاولة أحمد بن طولون فتح الهرم • وانتقل من الكلام عن أهرام الجيزة الى تمثال أبى الهول ويطلق على مبارك عليه « الصنم » ويلاحظ أنه استعمل نفس التسمية التى أطلقها المقريزى فى خططه على « الصنم » (٢٠) • ومن الموضوعات التى طرقها المؤلف حمام الرسائل التى كانت تبعث به السلطات الحكومية فى مصر فى القرن السابع الهجرى حاملة رسائل السلاطين وكبار رجال الدولة ، وقرر أن ميت عقبة بالجيزة كانت أول مراكز انطلاق الحمام الزاجل وقد بلغ عدده نحو ١٩٠٠ طائر ، ووصف طريقة حمل الرسالة تحت جناح الطائر • ومن الأبحاث الهامة التى وردت فى هذا الجزء نظام القضاء فى مصر ابان الحكم العثمانى ، وادخال عناصر عثمانية فى القضاء المصرى واستعلاء كبير القضاة العثمانى على القضاة المصريين • كما تكلم المؤلف عن ظاهرة اجتماعية فى العصر العثمانى ــ أو فى أوائله بتعبير أدق ــ هى منع النساء من الخروج الى الأسواق خوفا من اختلاط الجنود العثمانيين بهن وفقدانهم لياقتهم البدنية • وقد استثنيت من قرار المنع السيدات العجائز كما تقرر عدم الســـماح

(٢٠) المقريزى : الخطط طبعة الشياح ــ لبنان ثلاثة مجلدات المجلد الأول ، الجزء الثانى ص‌ص ٢١٦ــ٢١٨ •

للسيدات بركوب الحمير وتقرير عقوبات رادعة على المخالفات لهذا القرار وعلى المكارية الذين يسمحون بركوب السيدات على الحمير • ومن المصطلحات التى تناولها المؤلف بالشرح فى هذا الجزء : الأورجى ، الأرور ، الأشل ، الجريب • ومن المدن التى أرخ لها : منوف والمنيا وميت غمر وسمنود • ويمكن أن يطلق على هذا الجزء بحق الجزء الخاص بالبلاد التى تبدأ بكلمة « منية » فقد ذكر على مبارك مائة وواحدا وأربعين بلدا تبدأ أسماؤها المركبة بهذه الكلمة • ويلاحظ أن عددا من هذه البلاد احتفظ بهذه اللفظة دون تحوير أو تحريف ولا يزال يبدأ اسمها بها ، مثل منية الباسل ومنية الأشراف ومنية شنتنا عياش • وحدث فى أسماء البعض الآخر تحريف الى كلمة ميت مثل ميت غمر وميت رهينة وميت عقبة وميت القرشى وميت فارس وميت أبو غالب وميت بره وميت حبيش القبلية وميت حبيش البحرية وميت يزيد ، كما حدث فى أسماء البعض الثالث تحريف الى كلمة منيا ، مثل منيا القمح وان كانت تكتب أحيانا باسمها الأصلى منية القمح وأخيرا ، تخلصت تماما بعض البلاد من لفظة منية مثل سمنود • وقد ترجم المؤلف فى هذا الجزء لعلى بك الكبير وأحمد باشا الوالى العثمانى الذى حاول الاستقلال بمصر سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤) م ، والشيخ أحمد العروسى شيخ الجامع الأزهر ، وعبد الوهاب العفيفى ، وعقبة بن عامر ، وأحمد بن قاسم شيخ عرب الوجه البحرى ، وابن سندر وقصته مع عمر بن

الخطاب . ولم يشمل هذا الجزء سوى أسماء البلاد التى تبدأ أسماؤها بحرف الميم .

★★★

وفى الجزء السابع عشر من الخطط التوفيقية تكلم عن الواحات المصرية فى غرب النيل وعددها وأسمائها والبلاد والقرى التابعة لكل منها وما يتصل بتاريخها من أحداث وأساطير وطرق المواصلات بينها وبين وادى النيل ومواردها الاقتصادية وعادات سكانها والامتيازات المقررة لهم كاعفائهم من السخرة والتجنيد وشرح واجباتهم ازاء الحكومة وتتلخص فى تقديم الابل عند الحاجة وحراسة الدروب ، واستطرد الى الكلام عن معدن أو حجر الشب ومواطن استخراجه من مصر وفوائده والرسوم المقررة عليه أيام دولة المماليك طرق تصـــديره . وتكلم عن القبائل العربية النازلة بين الواحات ووادى النيل وتحديد منطقة لكل منها ، وقد قرن المادة العلمية عن الواحات بمعلومات طريفة للغاية عن بعض بلاد الواحات ، ووصف الرحلة من الفســـطاط الى الواحة الخارجة ثم الى دارفور ، وقد استقى على مبارك هذه المعلومات من رحلة قام بها الشيخ محمد بن عمر التونسى وسجل أحداثها فى كتاب وضعه باسم « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » . وانتقل على مبارك الى وصف الآثار والقرى الواقعة فى المنطقة الممتدة من أسوان الى وادى حلفا وتعرض لمعبدى كلبشة وأبى سمبل ثم تتبع الطريق من وادى حلفا الى دارفور والمدن لتى تقع على هذا

الطريق والبعثة التى أوفدتها الحكومة المصرية فى سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦) م من المهندسين والأطباء والعسكريين لاستكشاف أقرب طريق الى تلك الجهة تمهيدا لانشاء ما يلزم فيها من محطات ، وتكلم عن التكوين الانثوجرافى لسكان بلاد النوبة وعادات العرب الذين يسافرون فى القوافل التى كانت تسير بين شطرى الوادى ، وتكلم عن بعض الأديرة وانتقل منها الى غزو الفرس لمصر ثم الى صناعة النطرون ومواطن استخراجه فى مصر ، واعتمد فى ذكر المادة العلمية على ما كتبه علماء الحملة الفرنسية فى مصر عن وادى النطرون وصناعته والطريق من وادى النطرون الى الطرانة . وتكلم عن مشروعات ايصال نهر النيل بالبحر الأحمر لايجاد طريق مائى تسير فيه السفن من منف وغيرها من بلاد الصعيد الى البحر الأحمر مباشرة ، ومن البحوث الطريفة التى جاءت فى هذا الجزء عادة الفراعنة فى ذبح الثيران التى تقدم قرابين لآلهتهم ، وأبرز حرص المصريين على أن يكون الثور خاليا من الشعر الأسـود أو الأبيض احتراما للعجل أبيس الذى كان يتميز ببقع سوداء وبيضاء ، وذكر معلومات اجتماعية ودينية طريفة للغاية فى موضوع تقاليد المصريين ازاء الثيران والعجول ، واستطرد الى براهمة الهنود الذين يمتنعون عن أكل لحم البقر . وفى هذا الجزء نشر المؤلف وثيقة الوقفية التى أوقف فيها السلطان مراد الرابع سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٦) م قرية وراق الحضر شمال انبابة بالجيزة على الحرمين الشريفين . ومن البلاد التى أرخ لها فى هذا الجزء : نبروه وتكلم عن مدرسة الزراعة

التي انشئت بها في النصف الأول من القرن التاسع عشر كما أرخ لبلاد أخرى منها ههيا ودنقلة والفاشر ودارفور ٠ ومن تراجم الشخصيات : الشيخ محمد النشرتي شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد المهدى وبعض ذويه والشيخ حسونة النقاوى والشيخ محمد اسماعيل النفراوى والشيخ شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويرى مؤلف كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، وعرض على مبارك عرضا سريعا لأجزاء هذا الكتاب ، كما ترجم لوالد مؤلفه الشيخ تاج الدين النويرى والشيخ محمد عمر التونسى ٠

وقد أنهى على مبارك عرض البلاد المصرية فى الجزء السابع عشر بقرية اليهودية احدى قرى مديرية البحيرة وترجم لأحد علمائها وهو الشـــيخ أحمد برغوث بالعبارة التقليدية التى درج عليها الجبرتى وغيره « قدم الأزهر وتفقه على مشايخ العصر ومهر فى المعقول والمنقول وتصـــدى للتدريس وانتفعت به الطلبة » ثم يختتم هذه الخطط عن البلاد المصرية بقوله « اعلم أن الكلام على خطط القاهرة من المهمات التى اعتنى بها أفاضل العلماء والمؤرخين ورؤساؤهم قديما » وقال ان الخطط جمع خطة بمعنى محلة أو بلد لانه يخط عند التحديد ، واستعرض مؤلفى كتب الخطط من المؤرخين العرب ، فقال ان أولهم أبو عمر محمد بن يوسف الكندى ، وتابع اسماء زملائه الذين كتبوا فى الخطط حتى انتهى الى المقريزى ٠



وأفرد على مبـــارك الجزء الثامن عشر من الخطط التوفيقية للحديث عن مقياس النيل منذ عصور الفراعنة حتى القرن التاسع عشر الميلادى • وقد قدم له بالكلام عن أهمية قياس درجة فيضان النيل فى كل سنة ، لأن القياس هو القاعدة فى ربط الضرائب وتوزيعها على البلاد على أساس أن الفلاحين لا يستطيعون زراعة الأرض وبالتالى الحصول على الانتاج الزراعى الا اذا سقيت الأرض بماء النيل • وانتقل الى المقاييس التى استخدمت أيام قدماء المصريين فى قياس ارتفاع الفيضان ، وكيف كانت آلة القياس تودع فى معبد أطلق عليه اسم سيرابيس أى معبد النيل ، وكان كهنة هذا المعبد هم المخصصون لاستعمال آلة المقياس • وتظهر فى الخطط التوفيقيـة للمرة الأولى والأخيرة رسوم هى أشكال المقاييس المختلفة وقد نقلها عن الرسوم الموجودة على الآثار المصرية ومما ذكره هيرودوت • ثم تكلم عن المقياس فى مدة حكم الفرس والبطالمة والرومان وانتقل الى العصر الاسلامى ، وأسهب فى الكلام عن المقياس على عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وعمليات ترميمه أو اعادة بنائه فى عهود الحكم الاسلامى وواصل الحديث عن المقياس زمن الفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين والفرنسيين وحكم أسرة محمد على • وتكلم عن جزيرة الروضة ومساجدها ودورها ، وكتب فصلا عن جبر البحر وهو فصـــل ممتع أوضح فيه عناية المصريين البالغة باحتفالات وفاء النيل على مدار العصور ، وأشار الى العادة التى درج عليها المصريون من القاء عروس فى

النيل وكيف أبطلها الاسلام عند دخول العرب مصر ثم وصف عيد الشهيد عند المسيحيين في اليوم الثامن من شهر بشنس القبطي وهو وصف لا يخلو من طرافة ، وعاد يصف الاحتفالات بوفاء النيل أيام الفاطميين وتدرج على مر العصور والأحقاب حتى وصل الى سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤) م ، وذكر المرتبات التي قررتها الحكومة المصرية لشيخ المقياس ، ثم أورد جدولا سجل فيه الحد الأعلى الذي بلغه منسوب مياه الفيضان ارتفاعا والحد الأدنى هبوطا منذ أن فتح العرب مصر سنة ٢٠ هـ حتى عزل الخديو اسماعيل سنة ١٢٩٦ هـ (٦٤٠ ــ ١٨٧٩) م وقد استغرق هذا الجدول أربعا وسبعين صفحة من الخطط التوفيقية • وختم بحثه عن المقياس بذكر حادثين وقعا سنة ١٨٨٧ كان أولهما العثور في بئر المقياس على حجر من الرخام من عهد الحملة الفرنسية ومنقوش على أحد وجهيه باللغة الفرنسية « السنة الثامنة عشرة من الجمهورية » وعلى الوجه الآخر باللغة العربية التاريخ الهجري ١٢١٥ وهو يوافق سنة ١٨٠٠ • أما الحادث الثاني فهو عمل مقياس متري على حائط الرصيف الشرقي لسراي حسن باشا المانسترلي في زاوية السلم القريب جدا من المقياس الأصلي • واختتم على مبارك هذا الجزء بعدة بحوث ، نذكر منها : التغيرات التي حدثت في شاطيء النيل في منطقة القاهرة اذ كانت هناك مناطق من العاصمة ذكر أسماءها كانت تطل على النيل مباشرة ثم أصبحت بعيدة عنه وخلص من ذلك الى القول بأن النيل آخذ في الانتقال نحو الغرب مخلفا أرضا كانت مغمورة به ، ومن البحوث

الأخرى ما يتعلق بخليج أمير المؤمنين فقد أتى على تاريخه منذ أيام الفراعنـــة والفرس والرومان وكيف أعاد عمرو ابن العاص حفر هذه الترعة فى عام الرمادة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وتكلم عن مسار الترعة من القاهرة حتى مصبها في البحر الأحمر والقناطر التى انشئت عليها فى منطقة القاهرة • وأخيرا وضع بحثا مستفيضا عن تاريخ قناة السويس وركز اهتمامه على التاريخ الحديث منذ عهد الوالى محمد سعيد باشا وتكلم عن عقدى الامتياز التى ظفر بها دى لسبس والشروع فى حفر القناة ســـنة ١٨٥٩ ثم استعرض مراحل النزاع بين الحكومة المصرية وشركة القناة وتحكيم نابليون الثالث امبراطور فرنســا ، وأسهب فى وصف حفلات افتتاح القناة وعناية الخديو اسماعيل الفائقة بأوجينى امبراطورة فرنسا • ويستفاد من كتابته عن تاريخ قناة السويس أنه كان ناقما على سياسة التساهل التى درجت عليها الحكومة المصرية ازاء شركة القناة ، كما كان ساخطا على مظاهر البذخ الشديد فى حفلات افتتاح القناة ، وقد قال تعليقا عليها انها تكلفت أكثر من مليون ونصف مليون جنيه وقرر أن هذا المبلغ يعادل سدس ايراد الحكومة المصرية فى سنة كاملة •

★★★

وأفرد الجزء التاسع عشر من الخطط التوفيقية لترع النيل ورياحاته ومنشآت الرى فى الوجهين البحرى والقبلى • وقد قدم له باعتذار قال فيه انه سجل فى هذا الجزء ما كان موجودا فى مصر من ترع ومنشآت وقت قيامه بتأليف

الخطط التوفيقية سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥) م ثم استدرك قائلا انه « لا يخفى أنه تجدد بعد ذلك أشياء آخــر غير ما ذكر ، وبطلت أشياء ، فسبحان من لا يتغير » وقد بدأ بالكلام عن رياح روضة البحرين ، وانتقل الى باقى الرياحات والترع فكان يتكلم عن مسار كل ترعة من مخرجها الى مصبها أو نقطة تلاشيها ثم طولها وعرضها وارتفاع المياه فيها زمن الفيضان وزمن التحاريق ، وأسماء البلاد والنواحى والكفور والنجوع التى تمر بهــا والمديريات التى تروى أراضيها ، وعما اذا كانت ترعة نيلية أو صيفية وتاريخ تحويلها الى صيفية ، وعما اذا كانت قديمة أو مستحدثة وتاريخ انشائها ، وعدد العمال الذين اشتغلوا فى حفرها ، ومقدار الأنقاض التى تخلفت عن حفرها ، والقناطر المقامة عليها وعدد عيونها وهل هى مبنية بالطــوب الأحمر أو بالحجر • ثم لا يقصر كلامه على هذه البيانات أو التفصيلات بل يقرنها بالكلام عن آلات الرى ويسميها « الوابورات » التى أقيمت على كل ترعة وعددها ونوعها سواء كانت آلات ثابتة ويســـميها « ثوابت » أو متحركة ويطلق عليهـــا « كوموبيل » وقوة كل منها مقدرة بالحصان وأســـماء أصحابها • ويلاحظ من دراسة هذه الأسماء أن غالبية أصحاب الآلات كانوا من الأجانب والمتمصرين واليهود وأفراد أسرة محمد على وأصهارهم وكبار الملاك الزراعيين مثل عائلات ذو الفقار باشا وشريف باشا وراتب باشا والمنشاوى باشا وراغب باشا والشواربى باشا وعباس باشـــا يكن وأحمد باشا الدرملى والبدراوى عاشور • وتعكس دراسة

هذه الأسماء صورة اجتماعية اقتصادية قاتمة هى أن الملكية الزراعية فى مصر منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت مركزة فى يد حفنة من الأجانب والأمراء والباشوات ٠ ومما يلاحظ أن على مبارك كان يطلق على نهر النيل اسم البحر الأعظم وعلى فرع دمياط البحر الأعظم الشرقى وعلى فرع رشيد البحر الأعظم الغربى ٠ وفى تعرضه لترعة الوادى أطلق على شركة قناة السويس عبارة « كبانية الكنال » ٠

***

أما الجزء العشرون فقد خصصه المؤلف للكلام عن العملة وتطورها ٠ فتتبع تاريخ العملة التى كانت متداولة فى مصر منذ الفتح العربى على مر العصور التاريخية ثم انتقل الى شكل النقود وقطر كل قطعة ذهبية أو فضية مقدرا بالمليمترات ، وعقد فصلا طويلا عن الصور والكتابة التى كانت ترسم وتنقش على النقود الاسلامية وأول من ضرب النقود فى الاسلام ، وكيفية نقش التاريخ على العملة ثم عرج على العادة التى كانت متبعة من نقش الأدعية وأسماء الملوك والولاة وألقابهم ونعوتهم على العملة ٠ والأسماء الدالة على الرتب والوظائف ، وما كان ينقش مع أسماء الخلفاء على النقود من أسماء أبنائهم وأسماء العمال والولاة المستقلين وغير المستقلين ٠ وانتقل المؤلف الى الأندلس وبلاد افريقيا التى دخلها الاسلام فافرد فصلا عن النقود التى ضربت فى هذه الأقطار ، كما كتب عدة فصول أخرى تناولت شتى الموضوعات المتصلة بالعملة ، مثل : القيمة الحقيقية

للنقود ، حدة النقود وتقييمها ، عيار النقود ، نقود الذهب ، نقود الفضة ، نسب نقود الذهب والفضة بمصر ، ثمن الذهب والفضة فى مصر ، النقود التى كانت متداولة فى مصر عند قدوم الحملة الفرنسية اليها ، مقدار النقود التى ضربت ابان سنوات الاحتلال الفرنسى وما جنته الحكومة من أرباح وقتذاك ، العملة النحاسية ويسميها « فلوس النحاس » وتضمن هذا الجزء عدة جداول ايضاحية هامة ، منها : جدول بأسماء البلاد الاسلامية التى كانت تضرب فيها العملة وقد بلغ عددها ٣٠٧ بلدة فى أوربا وأفريقيا وآسيا وكان بعضها مدنا وبعضها ولايات اسلامية والتزم فى ذكر هذه البلاد ترتيب حروف المعجم • كما وضع المؤلف ثبتا طويلا يتضمن أنواع العملة العربية الفضية والبلاد التى ضربت بها وبيان أوزانها وتواريخها وأسماء الخلفاء الذين ضربت على عهدهم هذه العمــــلات ابتداء من عبد الملك بن مروان • ويقع هذا الثبت فى تسع وستين صفحة • ثم أردف هذا الثبت بجدول تفصيلى عن نقود مصر أوضح فيه اسم العملة ومكان وتاريخ ضربها واسم الخليفة أو السلطان أو الوالى الذى ضربت فى عهده والوزن الرسمى للعملة بالجرام والوزن الجارى والعيار الرسمى والعيار الجارى وسعرها الذى تتداول به الى غير ذلك من بيانات فنية تفصيلية • وقد استغرق هذا الجدول عشر صفحات كوامــــل • واختتم هذا الجزء الأخير من الخطط التوفيقية ببحث رائع ضاف يقع فى خمس وثلاثين صفحة تناول فيه القوة الشرائية للنقود فى مصر عبر اثنى عشر قرنا فى

مختلف عهود الحكم الاسلامى من سنة ٨٧ هـ حتى ١٢٨٦ (٧٠٦ ـ ١٨٧٠) م واستعرض فى نظام رتيب فترات الغلاء التى مرت بالبلاد وأزمات التموين فى المواد الغذائية وكيف كان عنف المجاعات عاملا فى دفع الشعب الى الثورة على الحكام • وكان يعمد الى الدراسة المقارنة لأسعار مواد التموين فى أوقات الرخاء وفى أوقات الشدة ، وتكلم عن تدفق العملات الأجنبية على مصر فى القرن التاسع عشر والعملات الذهبية والفضية التى ضربت فى حكم اسماعيل وكيف جعل عيار الذهب واحدا وعشرين قيراطا • والحق أن هذا البحث يعتبر من أهم البحوث التى جاءت فى الخطط التوفيقية ويعتبر مسك الختام • وقد اختتم على مبارك الخطط التوفيقية بهذه العبارات التى تنم عن سمات الرجل العالم المتواضع المتدين فقال « والى هنا وقف بنا جواد القلم فى مضمار البيان ، وانا نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل سعينا مشكورا ، وعملنا متقبلا مبرورا ، وأن ينفع بهذا الكتاب النفع العميم ، ويجعله سببا للفوز لديه بجنات النعيم • والمرجو ممن اطلع عليه من كل حر حسن خيمه وطاب أديمه أن يسبل على ما يعثر عليه من الهفوات جميل الأستار ، فقلما يسلم جواد من عثار ، سيما والانسان محل الخطأ والنسيان • والحمد لله على التمام ، والصلاة والسلام على من هو للأنبياء والمرسلين ختام ، وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون » •

مصادر ومراجع الخطط التوفيقية :

تقلد على مبارك عديد المناصب الوزارية على عهد الخديوى اسماعيل ثم الخديوى توفيق فعين ، على فترات متصلة حينا ومتقاربة حينا آخر ومتباعدة حينا ثالثا ، وزيرا للأشغال والأوقاف والمعارف كما تقلد الادارة العامة لمصلحة السكك الحديدية • ولا شك أنه استفاد من وجوده وزيرا فى هذه الوزارات فرجع الى محفوظات كل وزارة واستقى منها المادة العلمية اللازمة فى اعداد الكثير من الأبحاث التى وردت فى الخطط التوفيقية • وحسبنا أن نذكر هنا على سبيل المثال أن الجزء التاسع عشر يحوى تفصيلات ضافية فنية عن ترع النيل ورياحاته ومنشآت الرى • ولا يستطيع باحث أن يكتب بمثل هذه الافاضة والدقة والاحصائيات عن شبكة الترع الموجودة فى مصر الا اذا كانت سجلات وزارة الأشغال ميسرة أمامه يستقى منها المادة العلمية • ويكفى أيضا أن نشير الى أنه ذكر ثلاثة وعشرين فرعا تخرج من ترعة المحمودية وخاض فى تفاصيل فنية هندسية عنها • وقس على ذلك سجلات وزارة الأوقاف حيث توجد الوثائق والحجج التى أوقف فيها حكام مصر وغيرهم من أهل الخير الاراضى الزراعية وغيرها من العقارات على المساجد والزوايا والأسبلة والتكايا والحرمين الشريفين فى مكة والمدينة • كما استمد من سجلات وزارة المعارف المادة الغزيرة عن المدارس وما يتصل بها • واستفاد من وجوده مديرا عاما للسكك الحديدية فرجع الى الأوراق الرسمية عند كتابته عن الشبكة الحديدية فى مصر • وعلى هذا فان المصدر

الأول للخطط التوفيقية كان الوثائق والأوراق الرسمية الموجودة فى وزارات الأشغال والأوقاف والمعارف ومصلحة السكك الحديدية وغيرها من دواوين الحكومة ٠

وعلى مبارك يجيد اللغة الفرنسية وقد تعلمها أثناء وجوده فى فرنسا عضوا فى بعثة الأنجال واستغل معرفته بالفرنسية فى الرجوع الى الموسوعة التى وضعها علماء الحملة الفرنسية عن مصر فى عشرين جزءا باسم « وصف مصر » (٢١) ويطلق عليها على مبـــارك حينا « خطط الفرنســــاوية » (٢٢) وحينــــا آخـــر « خطط مصر للفرنساوية » (٢٣) وكأنه يريد أن يؤكد اجادته للغة الفرنسية فلا يعتمد على هذه الموسوعة الفرنسية فحسب بل يعتمد على الترجمة الفرنســية التى قام بها المستشرق الفرنسى كاترمير Etienne Quatremère لـــكتاب المقريزى « السلوك لمعرفة دول الملوك » فكثيرا ما يصادف الباحث فى الخطط التوفيقية هذه العبارة « نقله كترمير عن كتــاب السلوك » واعتمد أيضا على بحوث المستشرق الفرنسى دى ساسى De Sacy ٠ كما استغل معرفته باللغة الفرنسية

---

(٢١) Description de l'Egypte ou Recueil des Observations et des Recherches qui ont été faites en Egypte pendant l'Expédition de l'Armée francaise publié par les ordres de S.M. L'Empereur Napoléon le Grand. Paris. Imprimerie impériale (1809-1822).

(٢٢) ج ٧ ص ٤٣ ٠

(٢٣) ج ٢٠ ص ٤ ٠

في الرجوع الى كتب الرحالة الأوربيين الذين زاروا مصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل فانسلب Vansleb الذى زار مصر سنة ١٦٧٢ (٢٤) والرحالة سافارى Savarri ويسميه على مبارك « سوارى السواح الفرنساوى » (٢٥) واعتمد على رحلة « ولين الفرنساوى » (٢٦) ورجع الى كتاب كلوت بك ويسـميه قولوط بك (٢٧) ، والى قاموس الجغرافية الافرنجي ومنه استمد المادة العلمية لتراجم الشخصيات الأجنبية التى يتصل نشاطها بتاريخ مصر . وفى كتابة تاريخ مصر القديم رجع الى كتب العلماء الأجانب الذين كتبوا فيه قديما أو حديثا أو قاموا بأعمال البحث والتنقيب فى الآثار المصرية فى القرن التاسع ونذكر من هؤلاء وأولئك على سبيل المثال هيرودوت (٢٨) وديودور الصقلى وسترابون (٢٩) وماريت (٣٠) وشانبليون (٣١) .

وفى الخطط التوفيقية تبرز سمات مؤلفها فاذا هى صفات الرجل العالم الذى يتميز بالأمانة العلمية وينأى

---

(٢٤) ج ١٥ ص ٥٠ .
(٢٥) ج ١١ ص ٧٥ .
(٢٦) ج ٧ ص ١٦ .
(٢٧) ج ٧ ص ٥٠ .
(٢٨) ج ٩ ص ٦٤ .
(٢٩) ج ٧ ص ٣٧ ، ج ٩ ص ٦٧ .
(٣٠) ج ١٤ ص ٣٨ ، ٣٩ .
(٣١) ج ٨ ص ٣١ .

بنفسه عن مواطن أو شبهات السرقة الأدبية بمصطلح الوقت الحاضر الذى نعيش فيه ـ فهو حريص دائما على أن يذكر اسم المصدر أو المرجع الذى أخذ عنه • وكان يذكر أحيانا اسم الكتاب فقط واحيانا أخرى اسم مؤلفه وأحياتا قليلة يجمع بين اسم الكتاب واسم المؤلف وأحيانا لا يذكر اسم الكتاب كاملا • ومن مظاهر الأمانة العلمية التى تميز بها على مبارك فى الخطط التوفيقية أنه قرر قبل أن يتكلم عن تاريخ الكنائس والأديرة المصرية ويؤرخ للبطاركة الأقباط الارثوذكس منذ سنة ١٢٦٢ م حتى سنة ١٨٧٥ أنه اعتمد فى جمع المادة العلمية على « أكابر القسس الشهيرة بمصر » (٣٢) كما سنجل أنه استفاد من الأبحاث التى قام بها العالم المصرى محمود الفلكى عن جدران أسوار الاسكندرية (٣٣) •

ومن المراجع الرئيسية التى استقت منها الخطط التوفيقية مادتها العلمية مؤلفات المقريزى وهى الخطط ، ودرر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة (ج ٨ ص ١٧) ، والبيان والاعراب فيمن دخل مصر من الأعراب (ج ١٢ ص ١٠٥) والترجمة الفرنسية لكتاب السلوك والتى سبقت الاشارة اليها ، وابن اياس فى « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » وكذلك الجبرتى فى « عجائب الآثار » •

(٣٢) ج ٦ ص ٧٢ •

(٣٣) ج ٧ ص ٣٥ •

ولا نســــتطيع فى هذا البحث المحدود النطاق ان نستعرض جميع مراجع الخطط التوفيقية ويكفى ان نذكر بعضا منها : ابن جزلة خواص : منهاج البيان فيما يستعمله الانسان من الأدوية المفردة والمركبة (ج ٨ ص ٢٠) ، ابن خرداذبه : المسالك والممالك (ج ٩ ص ٧٠) ، ابن العوام : كتاب الزراعة (ج ٩ ص ٨٥) ابن زولاق : سيرة الامام المعز لدين الله (ج ١٥ ص ٥٦) ، ابن عباد : المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية (ج ١٤ ص ٥٧) وابن بطوطه فى رحلته ، وابن جبير فى رحلته : ذكر مشاهد بعض أصحاب النبى والتابعين بقرافة مصر ، ورحلة النابلسى ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ، وابن أبى السرور البكرى · قطف الأزهار من الخطط والآثار ، وابن دقماق ، وابن المتوج ، وابن كثير ، وابن الصباغ : فضائل الأئمة (ج ٥ ص ١٦) وابن الطولونى : النزهة السنية فى اخبار الخلفاء والملوك المصرية ، وابو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن القيسى : تحفة الألباب (ج ١٦ ص ٢) وأبو المحاسن : المنهل الصافى والمســـتوفى بعد الوافى (ج ٩ ص ٦٩) وأبو الفداء (ج ١١ ص ٢٢) وابراهيم بن عامر العبيدى : قلائد العقبان فى مفاخر آل عثمان (ج ٦ ص ٣٤ و ج ١٠ ص ١٠٢) والشيخ الصبان : اسعاف الراغبين فى أهل البيت (ج ٥ ص ٦ ، ٢٢) والنجم الغزى : الكواكب السائرة (ج ٥ ص ١٧) والاسحاقى : نزهة الناظرين (ج ٥ ص ١٩) والمحبى : خلاصة الأثر (ج ٦ ص ٣٧) والادريسى : نزهة المشتاق (ج ٨ ص ٩٥) والنووى :

تهذيب الأسماء واللغات (ج ٥ ص ٥٦) والشهاب بن أبى جحلة التلمسانى (ج ٥ ص ٥٦) وشمس الدين السخاوى : الضوء اللامع فى أعيان القرن التاســـع ، وعماد الدين شاهنشاه : تقويم البلدان (ج ١٠ ص ١٦) وعماد الدين الاصفهانى : تاريخ السلجوقية (ج ٩ ص ٣٥) وتاريخ فتح المقدس (ج ١٠ ص ٣٨) وعلى أبى جابر الاتباى : مناهل الصفا باتصال نسب السادات الوفائية بالمصطفى (ج ٣) ومحمـــد بن عمـر التونسى : تشحيذ الأذهـان بسيرة بلاد العرب والسودان (ج ١٧ ص ٣٣) ومحمد عبد المعطى الاسحاقى : أخبار الدول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول (ج ٤ ص ١١١) وحسن العدوى : مشارق الأنوار (ج ٥ ص ١٠) ولسان الدين بن الخطيب : الاحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة ومؤلفات عبد الوهاب الشعرانى وجلال الدين السيوطى والواقدى ويضاف الى تلك المراجع كتب : ديوان الانشاء ودرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحج وطريق مكة المعظمة (ج ١٤ ص ٨ ، ٥٢ ، ٥٤) وغير ذلك كثير ، كما رجع الى كتاب الاحصاءات المصرية لسنة ١٨٧٢ واستقى منه الكثير من معالم تاريخ مصر الحديث ٠ ولا يسع دارس الخطط التوفيقية الا أن يدرك المجهود الضخم الذى بذله على مبارك فى وضـــع هذه الموســـوعة ٠

تقييم الخطط التوفيقية :

نهجت الخطط التوفيقية نهجا علميا اذ استقت مادتها العلمية من المصادر والمراجع القديمة والحديثة ، العربية وغير العربية ، ونصت على أسمائها وقد ظهر فيها واضحا أثر الثقافتين العربية والفرنسية اللتين امتاز بهما المؤلف ٠ وفى الخطط التوفيقية محاولة رائدة لاعادة كتابة تاريخ مصر القومى من جديد ٠ والحق أن الخطط التوفيقية قد أضافت الى تاريخ مصر القومى فى فرعى التاريخ القديم والحديث مادة علمية جديدة ٠ ففيما يختص بالتاريخ القديم استفاد على مبارك من نتائج الكشوف الأثرية التى أجريت فى مصر فى القرن التاسع عشر وما كتبه العلماء الأوربيون عن التاريخ الفرعونى ٠ وكانت الكتب العربية التى وضعت فى العصر الاسلامى اذا تعرضت لتاريخ مصر القديم بخسته حقه لعدة أسباب منها جهل المؤلفين بحقائقه اذ كانوا لا يعرفون عنه الا خليطا من الأوهام ، ولأن العصور القديمة والموغلة فى القدم كانت لا تمثل فى أذهان المؤرخين المسلمين سوى الوثنية القائمة على عبادة الأصنام وأن فراعنة مصر لم يكونوا حكاما مثاليين ٠ يقول على مبارك عن التطور الذى طرأ على الدراسات التاريخية لمصر الفرعونية « ان أكثر الآثار القديمة كالأهرام والبرابى وغيرها مما بقى من أعمال الأمم الماضية والقرون الخالية لم يكن الغرض من ذكرها الا كونها من عجائب الدنيا ٠ ومعلوم أن الكتابة الطبرية المعروفة بالهيروجليفية لم تنكشف حقيقتها الا فى هذا

القرن ، فقد وقف الأفرنج على حقائقها من الكتابات الباقية على جدران الآثار المصرية والمباني الفرعونية ، وأخذوا مجدين اليوم في توسيع دائرة علمها ، فالتزمت أن أطالع ما كتب بخصوص تلك الآثار وألخص ما فيه الفائدة من غير اطالة ولا اكثار » (٣٤) وهكذا حملت الخطط التوفيقية الى قراء العربية معلومات صحيحة وجديدة عن تاريخ مصر القديم ٠

أما فيما يختص بتاريخ مصر الحديث فقد جاءت الخطط التوفيقية سجلا حافلا لمظاهر الحضارة التي أدخلت في مصر في القرن التاسع عشر مثل التوسع الزراعي ومحاولة ادخال الصناعات الكبيرة في البلاد وانشاء القوات المسلحة البرية والبحرية والشبكة الحديدية وأسلاك البرق التي مدت في طول البلاد وعرضها والمنائر التي أقيمت على الشواطيء المصرية لهداية السفن وانشاء الحوض العائم في ميناء الاسكندرية ومشروع الطريق البرى ثم انشاء قناة السويس الى غير ذلك من مظاهر استعرضنا طرفا منها من قبل ٠ وقد شارك على مبارك في تنفيذ بعض هذه المشروعات أو عاصرها أو كان قريب العهد بها فكتابته عنها لها قيمتها ولها وزنها ٠ ثم هو يضيف الى التاريخ الحديث تراجم للشخصيات المصرية ٠ ويمكن أن نقسم هذه الشخصيات الى فريقين : فريق عاش في الفترة من وفاة المقريزى سنة ١٤٤٢ حتى أوائل حكم محمد على ٠ وقد استقى تاريخ حياتهم من

(٣٤) ج ١ ص ٣ ٠

ابن اياس وابن زنبل والجبرتى وغيرهم • أما الفريق الثانى فقد عاشوا فى القرن التاسع عشر وتقلدوا المناصب القيادية فى الحكومة • وكانت الخطط التوفيقية أول من ترجمت لهم لأنهم كانوا رفاق المؤلف فى الدراسة فى مصر أو فى فرنسا أو فى زمالة العمل الحكومى • وكانت ترجمته لهم فى ضوء معلوماته عنهم واتصاله بهم • وكان اذا أعوزته المادة التاريخية الكافية لوضع ترجمة أحدهم فانه كان يطلب منه أن يكتب له ترجمة حياته بنفسه •

والخطط التوفيقية فى تعرضها لتاريخ مصر القومى لم تقتصر على الجانب الاسلامى فقط ، بل شملت الجانب القبطى أيضا فأرخت للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ولبطاركة الكرازة المرقسية وترجمت لكبار الأقباط وأعيانهم • وحرصت على ذكر الكنائس والأديرة القائمة فى مصر • وبجانب اهتمام الخطط التوفيقية بتاريخ مصر القومى فقد عنيت بالتاريخ الاسلامى العام •

لقد كانت الخطط التوفيقية من العوامل التى أسهمت فى نشر الوعى التاريخى فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وساعدت على ايجاد الحاسة التاريخية لدى المثقفين ودفعتهم الى العناية بالتاريخ كعلم بوجه عام وتاريخ مصر فى عصورها المختلفة بوجه خاص • وتأسيسا على ما سبق نستطيع أن نقرر أن هذه الموسوعة قد ساعدت على تغذية الروح القومية وأدرك الشعب أن الحضارة المصرية هى أم الحضارات وأن له أمجادا يزهو بها فى ميادين العلم

والهندسة والفن والثقافة • والجديد فى الخطط التوفيقية هو روح الفحص والنقد والمناقشة عند كتابة تاريخ مصر القومى • ويكفى أن نشير هنا الى موقفين على سبيل المثال • فقد نعت الخطط التوفيقية على الحكومة المصرية تساهلها ازاء شركة قناة السويس حتى ظفرت بامتيازات مجحفة بحقوق البلاد ، كما أنها انتقدت التبذير الشديد فى حفلات افتتاح القناة حتى بلغت نفقات الاحتفال سدس ايراد الحكومة المصرية فى السنة • أما الموقف الثانى فقد ناقشت الخطط التوفيقية ما جاء فى كتاب عجائب الآثار للجبرتى خاصا بالعلاقة التى كانت تربط الفرنسيين بزينب بنت السيد خليل البكرى نقيب الأشراف أيام الحملة الفرنسية • وعلى الرغم من ان كتاب عجائب الآثار استخدم عبارة مهذبة جاء فيها ان زينب كانت « ممن تبرج مع الفرنسيس (٣٥) ولم يذكر تفاصيل خارجة عن التقاليد كما فعل نقولا الترك فى مذكراته ، فقد ناقشت الخطط هذا الموضوع وقالت « ولا التفات لما قاله الجبرتى مما لا يناسب شرف هذا البيت العالى المقدار ، سيما والأحوال الجارية فى أوقات الفتن لا يوقف لها على قرار ، ولا تعلم لها حقيقة ، ولا يوصل لها الى أصل صحيح » (٣٦) •

واعتمدت الخطط التوفيقية على العلوم المساعدة لتفسير

---

(٣٥) الجبرتى ج ٣ ص ١٩٢ •

(٣٦) الخطط ج ٣ ص ١١٣ •

التاريخ وفهمه مثل الوثائق والنميات والآثار والنقوش ، فهذه قل من استعملها من قبل · واذا كانت خطط المقريزى قد أفادت من الوثائق والنقوش فان الخطط التوفيقية قد خطت خطوات واسعات فى هذا المضمار فهى تزخر بالكثير من الوثائق التاريخية وحجج الأوقاف والاحصائيات كما أنها تضم جزءا قائما بذاته عن النميات هو الجزء العشرون ·

وابتعدت الخطط التوفيقية عن العبارات المسجعة وعمدت الى الأسلوب السهل المرسل ولم تشذ عن هذه القاعدة الا فى مقدمة الخطط وفى الفقرة التى أنهى بها هذه الموسوعة · واذا كانت الخطط التوفيقية قد سارت على نهج خطط المقريزى حتى ليعتبرها البعض تكملة وتجديدا لها الا أنها جاءت أكثر شمولا وعمقا واحاطة بجميع المدن والقرى المصرية القديمة والحديثة ، كما أنها لم تهتم بالجانب السياسى فقط ولكنها أرخت للنواحى الحضارية والاجتماعية والاقتصادية ·

وقد استغرق وضع الخطط التوفيقية بضعة عشر عاما ، فقد طبعت سنة ١٣٠٦ هـ (٦ سبتمبر ١٨٨٨ ـ ٢٧ أغسطس ١٨٨٩) أثناء توليه وزارة المعارف فى وزارة رياض باشا الثانية) ، وقد ظلت فى الحكم من يونيو ١٨٨٨ حتى ١٢ مايو ١٨٩١ · ولا يتبادر الى الذهن أنه وضع هذه الموسوعة أثناء توليه الوزارة فلا شك أنه أنفق فى وضعها بضعة عشر عاما ونستدل على ذلك من عدة أدلة جاءت فى سياق كتابته فمن ذلك أنه تعرض لتطور الحفلات التى أبدع

المصريون فى اقامتها احتفاء بوفاء النيل منذ أقدم الأزمنة الى عهد أسرة محمد على ثم قال » وهاك شرح الجارى الآن يعنى سـنة احدى وتسعين ومائتين وألف هلالية » (٣٧) ووقعت هذه السـنة الهجرية فى الفترة التى بدأت من ١٨ فبراير ١٨٧٤ وانتهت فى ٦ فبراير ١٨٧٥ ٠

ولنا على الخطط التوفيقية مأخـذان همـا التكـرار والاستطرد ٠ أما التكرار فقد كان يتناول موضوعا بالبحث ثم يعود اليه فيذكره مطولا أو مقتضبا فى جزء آخـر من الأجزاء العشرين التى تتكون منها هذه الموسوعة ٠ ومثل هذا التكرار لا يلحظه القارىء العادى ولكن يلحظه ويسجله الفاحص الباحث ٠ ولئن قيل ان الضرورة هى التى دعت المؤلف الى العودة الى موضوع سبق بحثه فقد كان يكفيه أن يحيل القارىء اليه ويتجنب التكرار ٠ وقد وقع هذا التكرار عند ذكر بعض الحوادث وتراجم الشخصيات وفى الأزمات السياسية وتفسير بعض المصطلحات التاريخية ٠ نذكر من صور التكرار حادث العنزة المشهورة التى اتخذها كبير خـدم مسـجد السيدة نفيسة أداة للدجل والاثراء (ج ٥ ص ١٣٧ ، ج ٨ ص ص ٥٢ ـ ٥٣) وانشاء دار الكتب المصرية ج ٣ ص ١٤ و ح ٩ ص ٥١) وترجمـة ذى النون المصرى وهو من صوفية القرن الثالث الهجرى (ج ٥ ص ص ٥٧ ـ ٥٨ ، ج ٨ ص ص ٣٩ ـ ٤٠) والأمير

(٣٧) ج ٧١ ص ٢٤ ٠

عبد الرحمن كتخدا وعمائره (ج ٤ ص ص ١٢ ــ ١٣ ، ج ٥ ص ص ١١٦ ــ ١١٨ وج ٨ ص ص٥٣ ــ ٥٤) والأمير محمد بك الألفي الكبير (ج ٣ ص ١٠٣ ، ج ١١ ص ص ٢٧ ــ ٣٤) والموقف السياسي الدقيق في مصر عقب وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب (ج ٧ ص ٢٥ ، ج ١١ ص ٤٣ ــ ٤٦ ، ج ١٢ ص ١١٤) ويشرح معنى « أمير أخور » مرتين (ج ١٠ ص ٨٠ ، ج ١٢ ص ٢٧) • أما الاستطراد فقد أوغل فيه المؤلف ايغالا بعيدا • ففي الجزء السابع ــ وقد أفرده لمدينة الاسكندرية ــ انتقل الى الكلام عن الحروب الصليبية وحملة لويس التاسع على مصر ووقوعه في الأسر في موقعة فارسكور • ولعله شعر بهذا الاستطراد فقال « وانما خرجنا عن الموضوع وأطلنا في تفصيل حوادث هذه الأوقات ليعرف القارىء ما ورد على الديار المصرية » • (ج ٧ ص ٣٥) ولما تكلم في الجزء الرابع عشر عن عجرود استطرد الى نظام قافلة الحج المصرية على نحو ما أوضحناه وقد كتب في هذا الاستطراد ما يقرب من تسع وعشرين صفحة • ونهج هذا المنهج الاستطرادي عند كلامه على عيذاب ورحلة ابن بطوطة •

ومثل هذه المآخذ لا تقلل من القيمة العلمية لهذه الموسوعة فهي ــ بتعبير الأستاذ الرافعي ــ غرة في تاريخ مصر العلمي ومأثرة خالدة لعلي مبارك باشا (٣٨) • والواقع

(٣٨) عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل • الجزء الأول • الطبعة الثانية ١٩٤٨ ، ص ٢٤٠ •

انهـــا مرجع للباحثين تتناول فى أمانة التاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى والحضارى لمصر وطبوغرافية مدنها وقراها وواحاتها وثغورها وموانيها فى العصــور القديمة والوسيطة والحديثة ٠

ونختم هذا المقال بنقطة أخيرة خاصــة باللغط الذى أثير حول المؤلف الحقيقى للخطط التوفيقية ٠ فقد انطلقت بعض الألسنة تردد أن هذه الموسوعة لم تكن كلها من وضع على مبارك بل كانت هناك مجموعات من مرءوسيه ، وبخاصة المهندسين ، وقفوا وراءه وأسهموا معه فى وضــــع هــذه الموسوعة ٠ وليس هناك دليل يسند هذا الادعاء ٠ وقد ذكر اثنان من الأساتذة الذين تعرضوا لتاريخ على مبارك هــــذا القول ٠ ولكن لم يزد دور كل منهمـــا على أنه porte-parole أى ناقل رواية ٠ فأحدهما ، وهو الدكتور محمد أحمد خلف الله ، أشار الى « هذه التهمة التى التصقت به » ثم قرر تعليقا عليها « ونحن لا نستطيع أن ندعى هذه الدعوى ، ولا نستطيع أن نرفضها ، وانما نقول ان هذا الكتاب قيم » (٣٩) ٠ فهو لم يقطع برأى حاسم فى هذا الادعاء بل تخلص منه بلباقة وسرعة وانتهى الى أن الكتاب ذو قيمة ٠ أما الأســتاذ الآخر وهو المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فقد ذكر ما يلى « ولئن قيل ان العلامة على مبارك استعان فى وضع الخطط بطائفة من المهندسين من تلاميذه

---

(٣٩) دكتور محمد احمد خلف الله : على مبارك وآثاره ٠ لم تذكر سنة الطبع ٠ الناشر : مكتبة الانجلو ٠ ص ١٥٤ ٠

ومرءوسيه فى وزارة الأشغال والمعارف ، فذلك لا ينقص من فضله ، ولا يقلل من عظم العمل الذى اضطلع به . وحسبه أن ارادته وجهت مساعديه الى معاونته فى البحث والتنقيب ، وروحه تتمشى فى جميع أبواب الكتاب ومباحثه » (٤٠) . وهو قول فيه دفاع وتبرير على أسوأ الفروض وهو أن الادعاء صحيح ، ولكن لم يناقش سيادته هذا الادعاء أساسا . وسنحاول أن نناقش مسرعين هذا الرأى بعيدين عن محاباة على مبارك أو التحامل عليه . ان وضع الخطط التوفيقية قد استغرق منه وقتا امتد بضعة عشر عاما ، كما أثبتنا من قبل ، ولو كان المؤلف قد استعان بطائفة من مرءوسيه لاستطاع بفضل معاونتهم واسهامهم أن يفرغ منها فى زمن يقل بكثير عن هذه السنوات الطوال . ومن المقطوع به أن الكفاية والهمة والجلد على العمل ، كل هذه الصفات كانت من أبرز سجايا على مبارك وقد قرر هو يترجم لنفسه أنه كان لا ينام من الليل الا قليلا وذكر فى مقدمة الخطط أنه كان قد عرض على لفيف من ذوى المقدرة العلمية وضع كتاب فى موضوع الخطط فلم يجد منهم استجابة فقام بمفرده بوضع الخطط التوفيقية . وكانت الصورة التى علقت فى أذهان معاصريه أنه الوزير الفتى العالم الذى يعمل وينتج فى صمت وينأى بنفسه عن المهاترات أو الثرثرة السياسية ولم يلمع فى الحبات السياسية كما سطع فى الحقل العلمى وبرز فى ميادين

(٤٠) الرافعى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٠ .

الاصلاح والتعمير والانشاء • وليس بكثير على عالم هذه صفاته أن يضع بمفرده الخطط التوفيقية • لقد رجع على مبارك الى المحفوظات الرسمية فى وزارات الأشغال والأوقاف والمعارف وغيرهـا من جهات حـكومية • وفارق كبير بين الاستعانة بأشخاص يؤلفون له وبين الرجوع الى المصادر الأصلية ، وهو عبء ثقيل فادح لا يتولاه الا كل باحث يتمتع بالأصالة والتعمق فى البحث والجلد عليه ، وهو أمر لا يستطيع أحد أن ينكره على العالم الباحث على مبارك •

وفى رأينا أن هذا الادعاء مرده الى الحقد والحسد • ومن المعروف أن النابهين فى كل زمان ومكان كانوا وسيظلون دائما هدفا لهجوم وحسد الكثيرين • وقد لقى على مبارك فى حياته الكثير من المتاعب بسبب ما كان يحيكه له حساده من دسائس • ففى حكم محمد سعيد أبعد عن مصر سنتين ونصف سنة (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦) تحت ستار اشراكه فى حرب القرم • وفى حـكم اسـماعيل أقصى عن المناصب الحكومية فترة فى سنتى ٧٠ ـ ١٨٧١ واعتكف فى منزله بسبب وشاية الحاسدين وكان على رأسهم اذ ذاك اسماعيل باشا صديق • وجدير بالذكر أن المقريزى تعرض لمثل هذا الاتهام بعد أن وضع كتابه الخطط فقد اتهم بأنه سطا على مسودات من كتاب للأوحدى فى نفس الموضوع ، فأخذها وزاد عليها ، مع أن المقريزى لم يقصر فى ذكر المصـــادر والمراجع التى نقل عنهـا ، بل كان يسند كل حادث الى صاحبه ، فلو كان قد اقتبس من الأوحدى لما كان يضيره

أن يذكره . وتعرض شمس الدين السخاوى (٩٠٢) لموقف شبيه لهذين الموقفين . فبعد أن انتهى من وضع كتابه « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » تصدى معاصروه للتشنيع عليه ، ومنهم السيوطى ألف فى انتقاده كتابا سماه « الكاوى فى تاريخ السخاوى » .

ونرجو أن يكون قريبا ذلك اليوم الذى تنهض فيه احدى المؤسسات الثقافية بطبع هذه الموسوعة العربية طبعة حديثة مع وضع فهارس متنوعة لها وشرح بعض العبارات التى وردت بها واندثر الآن استعمالها .

نماذج من الخطط التوفيقية

تعمير ضاحية الرمل بمدينة الاسكندرية

« وفى أقرب وقت صار ما حدث من الأبنية جهة الرمل يشبه مدينة قاسمة ما بين ناحية أبى قير وثغر الاسكندرية بما حوته من الانتظام والرونق والبهجة فى منازلها وقصورها الجمة وشوارعها وحواليتها المشتملة على نفائس التجارات بعد أن كانت هذه البقعة عبارة عن كثبان من الرمل وأرض غير منتفع بها ، وما كان يزرع منها الا القليل ، وبعد أن كان الغيط الذى سعته ثمانية أفدنة أو تسعة أو عشرة لا يزيد حكره عن ثلاثة قروش صار الآن أرضا لا يباع منها الا بالذراع والمتر من ريال الى نصف بينتو ، وما ذاك الا لكونها صارت من أعمر الأماكن لسكنى المعتبرين من التجار والأمراء بها ، وبها البساتين المشتملة على جميع أنواع

الأشجار والأزهار والرياحين . وقد بلغ عدد سكانها الذين يقيمون بها في وقت الصيف قريبا من ٧٠٠٠ نفس ، وفي وقت الشتاء على نحو النصف من ذلك . وأول من اشترى في الرمل الخواجا سيزينيا (٤١) ، فانه اشترى من ملك عائلة أبي شال ، وكان لهم أرض متسعة ، جانبا عظيما بمبلغ ٦٠ كيسة ، والآن وقد اشترت منه الحكومة شريطا من الأرض لوضع السكة الحديد عليه ودفعت في قيمة المتر ٥ فرنكات ونصفا فعلى ذلك تكون قيمة الفدان الواحد ٢٣١٠٠ فرنك . ومما زاد في الرغبة فيها وأكد أمر السكنى بها احداث السكة الحديد بينها وبين المدينة الأصلية ، فانها سهلت على الناس الانتقال منها اليها وبالعكس ، ففى كل أوقات السنة لا ينقطع التردد اليها ومن يقيم بها من الأغراب يجد جميع ما تطلبه نفسه خصوصا باللوكاندة التى أحدثت هناك ، فان بها كل ما يلزم مع الراحة والأمن . وفي الرمل ناد تجتمع فيه الناس يومى السبت والأحد من كل أسبوع ويشنفون مسامعهم بسماع الألحان والأصوات الحسنة ، وبها أيضا ثلاث كنائس واحدة للكاثوليكيين وواحدة للأروام وواحدة للأمريكيين . ومن المدارس ثلاثة لتربية الصبيان ، واحدة على ذمة الأروام وأخرى للفرنساوية

---

(٤١) هو زيزنيا Zizinia أحد الرعايا اليونانيين ثم اكتسب الجنسية الفرنسية واشتغل قنصلا عاما لبلجيكا فى مصر وكان يطلق اسمه على احدى محطات ترام الرمل ثم تغير اسم المحطة الى قصر الصفا .

وأخرى للتليانيين • وفى كل ساعة يقوم من اســكندرية قطر الى الرمل ، وفى كل نصف ساعة يقوم قطر من الرمل الى اسكندرية • وفى كل قطر عمال من طرف البوستة لنقل المكاتيب وأوراق الحوادث وغيرها • وأجرة الركاب بحسب الدرجات : فعلى من يركب فى عربات الدرجة الأولى خمسة قروش ، ومن يركب الدرجة الثانية أربعة قروش ومن يركب الدرجة الثالثة ثلاثة قروش • ومما آكد الرغبة فى سكنى جهة الرمل ما أحدثه الخديو من المبانى هناك بقصد اقامته واقامة الفاميليه (٤٢) فى فصل الصيف ، فانه نشأ عن ذلك فتح شارع عظيم فى وسط التلول المقابلة لباب رشيد ، وأوله باب رشيد وينتهى الى حدود الملاحة بأول أطيان قرية المندرة ويمر بسراى الرمل الخديوى وطوله من باب شرقى الى السرايا ٤٠٠٠ متر فى عرض ١٢ مترا ومن السرايا الى الملاحة ٤٠٠٠ متر فى عرض ٨ أمتار ، وقد غرس فى جانبيه الأشجار المظلة » • ج ٧ ص ٦٧ •

انشاء دار العلوم

« واستحدثت مدرسة دار العلوم بعد استصدار الأمر بها وجعلتها خاصة لطلبة بقدر الكفاية يؤخذون من الجامع الأزهر ممن تلقوا فيه بعض الكتب فى العربية والفقه بعد حفظ القرآن الشريف ليتعلموا بهذه المدرسة بعض الفنون المفقودة من الأزهــر مثــل الحساب والهندسة والطبيعة والجغرافية والتاريخ والخط مع فنون الأزهر من عربيــة

---

(٤٢) يقصد على مبارك بلفظة الفاميلية العائلية أى أسرة الخديو •

وتفسير وحديث وفقه على مذهب أبى حنيفة النعمان ، وجعل لهم مرتب شهرى يستعينون به على الكسوة وغيرها من النفقات ، ورتب لهم طعام في النهار للغداء ، وجعل الصرف عليهم من طرف الأوقاف ، ورتب لهم من لزم من المعلمين من المشايخ العلماء وغيرهم ليقوموا بأمر تعليمهم وتدريبهم منهم معلمون فى المكاتب الأهلية (٤٣) بالقاهرة وغيرها لتعليم العربية والخط ونحو ذلك . فلما أشيع هذا الأمر وأعلن ، حضر كثير من نجباء طلبة العلم بالأزهر يطلبون الانتظام فى هذا السلك ، فاختبر منهم بالامتحان جماعة على قدر المطلوب ، وساروا فى التحصيل فحصلوا ، وأثمر ذلك المسعى ، وخرج منهم معلمون فى القاهرة وغيرها ، وحصل النفع بهم ولهم . وأما المعلمون فى غير العربية كالهندسة والحساب واللغات ونحو ذلك فتقرر أن يكونوا من نجباء التلامذة المتقدمين الذين أتموا دروس المدارس العالية كالهندسخانة والمحاسبة والادارة » . ج ٩ ص ٥١ .

---

(٤٣) المكاتب الاهلية اسم أطلق على المدارس الابتدائية الجديدة التى انشئت فى عصر اسماعيل طبقا لما ورد فى لائحة رجب ١٢٨٤ وكان يصرف عليها من الموارد الأهلية التى رسمتها هذه اللائحة .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٤٩٩٠

ISBN — 977 — 01 — 9877 — 3





بسعر رمزى
خمسة وعشرون قرشا
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥